من قضايا الفكر الإسلامي





محمد واضح رشيد الحسني الندوي


جمع ومراجعة

محمد وثيق الندوي


الناشر

دار الرشيد

للطباعة والنشر التوزيع ، لكناؤ

## الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ ٢٠١٦م

اسم الكتاب : قضايا الفكر الإسلامي: الغزو الفكري

مؤلف الكتاب: محمد واضح رشيد الحسني الندوي

جمع ومراجعة : محمد وثيق الندوي

الصفحات: ٢٠٠

النسخ: ١١٠٠

ثمن النسخة: ١٥٠ روبية هندية

## يطلب من:

(١) المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء لكناؤ .

(٢) المكتبة الندوية، ندوة العلماء لكناؤ

(٣) مكتبة إحسان، مكارم نغر لكناؤ

(٤) مكتبة الشباب العلمية الجديدة، مكارم نغر لكناؤ




164/106 Khatoon Manzil, Haidar Mirza Road
Golaganj, Lucknow. Mo: 9452294097-9838154415

بسم الله الرحمن الرحيم

# كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وخاتم المرسلين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين و بعد.

هناك سؤال، ما رأيك في العدو الذي تراه، وترى ما في يده من أدوات الحرب التي يوجهها إليك، يحاول الهجوم عليك ليقتلك، أو يأسرك على الأقل؟

وما رأيك في العدو الذي يدخل عليك وأنت لا تشعر، يدنو منك وأنت لا تحس، يريد أن تقتل إيمانك وعقيدتك، ويجعلك عبداً لا يتحرر أبداً، يصرفك عن التمسك بالإسلام، وما يتعلق به من العقيدة والعبادة والشريعة والأخلاق والأفكار والتقاليد وأنماط السلوك، يقطع صلتك عن ماضيك اللامع الذي لا يزال يشع منه النور، وذلك لتعيش حياة خضوع وعبودية؛ بل حياة لؤم تجعلك تعض على نفسك، وتنبح على أهلك، تعد المخازي مفاخر، والسقوط نهوضاً، والتقهقر تقدماً، والإقدام تهوراً، والتصلب في الدين تخلفاً، والحجاب للمرأة رجعية، ولزومها البيت ظلماً،

وإجراء الحدود همجية، والالتزام بالضوابط وحشية، حتى تصبح رهين إشاراته وطفيلي مائدته، ومكبر صوته، والناطق باسمه، تفعل ما يأمرك به، وتقول ما يملي عليك.

عليك أن تدلي برأيك بصراحة، وتوضح الفرق بين هذين العدوين وتقول: إن العدو الذي يستهدف الاستيلاء على الأذهان والعقول، ويهجم على الإيمان والعقيدة والسلوك، ويزرع بذور الشكوك والشبهات في صلاحية الدين الحنيف للبقاء ومواكبة ركب الحضارة والتقدم، هو أشد خطورة وأسرع إبادة من العدو الذي لا يهمه إلا أن يحتل البلاد، ويستولى على الأراضي ويأسر الأجساد.

لما تأكد لأعدائنا من اليهود والنصارى بهزائم متتالية في حروب صليبية متتابعة أن المسلمين من أشد الناس قلباً في الحروب وأشد ترحيباً بالموت، ولاسيما إذا استنفروا باسم الدين، ولا تستطيع قوة - مهما كانت تملك من الأسلحة ومهما كانت تضم من الجيوش - إن تلحق بالمسلمين هزيمة.

فكروا في أساليب أخرى تحقق لهم الانتصار على المسلمين حتى يتمكنوا من استرجاع ما خسروه في الحروب من الأماكن والأراضي، واستعادة ما فقدوه من الهمة والشجاعة، وتوصلوا إلى أن الهزيمة لا تزال تلاحقهم ما دام المسلمون مرتبطين بالإسلام، متمسكين بالشريعة، معتصمين بالكتاب والسنة، معتزين بما حققه آباؤهم من المآثر والبطولات.

فأرادوا أن يثيروا على المسلمين حرباً جديدة عن طريق إثارة

الشكوك والشبهات في المعتقدات الإسلامية بدلاً من استخدام السيف واللجوء إلى أدوات العنف، لأنهم كانوا قد عرفوا خلال الحروب التي دارت بينهم وبين المسلمين أن سر قوة المسلمين هو الإسلام، فلابد من قطع صلتهم عنه، فاختاروا طرقاً مختلفة وأساليب شتى، لتحويل المسلمين عن الإسلام ورفع ثقتهم عنه بإقناعهم بأن الإسلام قد انتهى دوره ومضى عهده، ولم يعد يساير الركب الحضاري في هذا العصر المتطور.

فعرضوا عليهم العلمانية كبديل عن الإسلام بقولهم إن العلمانية هو الإسلام وإن الإسلام هو العلمانية، ثم لجأوا إلى الاستشراق لمحاربة الإسلام بالإسلام، ثم إلى التبشير، ثم إلى الفرق الضالة، ثم إلى الخدمات الاجتماعية، ثم التشكيك في القرآن والتشكيك في السنة، ثم التدخل في التعليم ووضع المنهج الدراسي الخاص، وتشويه التاريخ الإسلامي، واتهام القوانين الإسلامية بالقسوة وإطلاق النعرات العرقية، والدعوة إلى القومية والوطنية والإقليمية والعنصرية، والحثّ على تبنى الاشتراكية وغيرها من الأمور التي تبعد المسلمين عن الإسلام وتصرفهم عنه جزئياً أو كلياً.

هذا ما يطلق عليه تسمية الغزو الفكري، والغزو الفكري هذا هو أخطر بكثير من الغزو العسكري للمسلمين، فمن أهمله أو تغافل عنه ولم يعد نفسه لمقاومة هذا الغزو ولم يختر تلك الأدوات التي تستعمل فيه خسر المعركة، ومهد الطريق للعدو ليلاعب بالعقول ويتحكم بها ويصرفها كما يشاء.

فنظراً لأهمية هذا الموضوع قررت "دار الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع" أن تصدر كتاباً قيماً يتضمن محاضرات ألقاها فضيلة أستاذنا الجليل وأبينا الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي حفظه الله تعالى (رئيس الشئون التعليمية لندوة العلماء) أمام طلاب "المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي" بجامعة ندوة العلماء، وقدم فيها استعراضاً للغزو الفكري، وتناول جوانبه المختلفة وأبعاده الخطيرة التي لا تتطرق إليها الأذهان عامة، واعتمد في إعداد هذه المحاضرات على عدد كبير من الكتب المؤلفة حول موضوع الفكر الإسلامي ككتاب " الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية" للدكتور محمد المبارك، وكتاب" أساليب الغزو الفكري" للدكتور علي جريشة، وكتاب " الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار" لمحمد البهي، وكتاب "القومية والغزو الفكري" للدكتور جلال كشك، وقدم المؤلف في آخر المطاف حلاً لمواجهة هذا الغزو ووسائل لإعادة الفكر الإسلامي الصميم إلى أذهان المثقفين المخدوعين بالحضارة الغربية.

واستمد المؤلف فكرته ورؤيته من فكر خاله المفكر الإسلامي العظيم الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، و خاصة استمد من هذه الكتب القيمة "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" و"الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية" و "إلى الإسلام من جديد" وكتاب المهتدية مريم جميلة بعنوان" Western Civilization " وبعض مقالاتها التي نشرت حول الفكر الإسلامي

ووسائل مواجهة الغزو الفكري المنشورة في مجلة "البعث الإسلامي" وقد نقلها المؤلف نفسه من الإنكليزية إلى العربية ، فجزاه الله تعالى عنا خير الجزاء ، ويتقبل منه هذا الجهد .

و لا يفوتني أن أشكر زميلي الأستاذ محمد وثيق الندوي (أستاذ التفسير والأدب العربي بكلية اللغة العربية و آدابها بدار العلوم لندوة العلماء بلكناؤ) بشأن إخراج هذا الكتاب ، فإليه يرجع الفضل في جمع هذه المذكرات والمحاضرات و ترتيبها و تحقيقها و مراجعتها وثبت المصادر ، وساعده في ذلك الأخ العزيز محمد سالم السولانكي فأشكره والله هو الموفق و الهادي إلى سواء السبيل .

جعفر مسعود الحسني الندوي

غرة رجب ١٤٣٧هـ

٢٠١٦/٤/٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

# كلمة بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان ، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين ، وبعد :

فقد جرب العالم ، وخاصة العالم الإسلامي الذي خضع للأفكار الغربية عن طريق التعليم ، ثم عن طريق الاستعمار الغربي قبل البلدان الآسيوية والأفريقية الأخرى ، أفكاراً ونظريات وأيديولوجيات عن مختلف ميادين الحياة ، ومنها الفكر الديني ، كما جرب بعد غلبة قوى أوربا كبريطانيا وفرنسا وهولندة والبرتغال وإيطاليا التي تسيطرت بعد سقوط الدول الإسلامية بالقوة العسكرية ، فغيرت سائر النظم السائدة ، وفرضت نظامها التعليمي والتربوي ، وفي بعض البلدان غيرت رسم الخط ، وأجبرت على اتخاذ الخط الروماني ، وبذلك أصبحت كتب التراث والفكر غريبة ، فكان ذلك أخطر من إحراق المكتبات ، ولفرض نظام تعليمي وتربوي جديد غُرِسَ في الأذهان تفوُّق واستحسان الثقافة الغربية.

كان الفكر الإسلامي في هذه الفترة التي كانت فيها غلبة الأفكار

الغربية في مختلف ميادين الحياة من السياسة إلى الأخلاق، في موقف الاعتذار بسبب الدعاية الغربية المكثفة والهجوم على الدين الإسلامي وتاريخ الإسلام، والسيطرة على العالم الإسلامي، وكان الفكر الغربي سائداً بجراء هذه الدعاية ضد الإسلام، ثم نشأ جيل من المفكرين الذين درسوا النظامين والأفكار، فعرفوا هذه الأفكار والنظم عن كثب، وشرح الله صدورهم للإسلام من داخل المعسكر الغربي.

ومن بين الذين نشأوا في البيئة الإسلامية وهداهم الله للحق أمثال محمد أسد و مريم جميلة وموريس بكائي وروجيه جارودي ومراد هوفمان، فألفوا كتباً دحضوا فيها الأفكار الغربية و كشفوا زيفها، ودافعوا عن الإسلام.

و من بين المسلمين نشأ عدد من المفكرين، ومنهم حسن البنا (١٩٠٦م - ١٩٤٩م) ومصطفى السباعي (١٩١٥م- ١٩٦٤م) ومالك بن نبي (١٩٠٥م -١٩٧٣م) والأستاذ أبو الأعلى المودودي( ١٩٠٣م - ١٩٧٩م) والدكتور محمد البهي(١٩٠٥م- ١٩٨٢م) ومحمد المبارك (١٩١٢م- ١٩٨٣م) وجلال كشك(١٩٢٩م- ١٩٩٢م) والشيخ أبوالحسن علي الحسني الندوي (١٩١٣م- ١٩٩٩م) وكامل الشريف (١٩٨٢م- ٢٠٠٨م) وعلي جريشة (١٩٣٥م- ٢٠١١م). درسوا الحضارة الغربية وعرفوا محاسنها و مساوئها، ودرسوا الحضارة الإسلامية وعرفوا النظامين، وألفوا كتباً في المقارنة بين الفكرتين ككتاب الشيخ أبي الحسن علي الحسني

الندوي " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" الذي نال قبولاً عاماً ، وكتاب "الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية" للشيخ الندوي وكتاب الدكتور محمد المبارك "الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية" كما درس عدد من المفكرين الاستشراق والتنصير ونظمهما والحركات والمنظمات الأخرى كالماسونية والصهيونية .

وقد اختير هذا الموضوع للدراسة في الجامعات كجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وعقدت ندوات ومؤتمرات لدراسة هذا الموضوع ، ونشرت البحوث والمقالات المقدمة فيها بشكل كتب مستقلة ، وقد أعدَّت الندوة العالمية للشباب الإسلامي " الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة" كما نشرت كتب دورية محكمة حول الموضوع ، كـ "دراسات استشراقية وحضارية"(كتاب دوري محكم) نشرته مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية بكلية الدعوة بالمدينة المنورة ، وبتوجيه الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي أنشئ في دار العلوم لندوة العلماء "المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي".

وقد كان موقف الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي إزاء الغرب موقف الوسطية ؛ لا موقف الرفض الكامل ولا موقف القبول العام ، بل موقف الدراسة والمقارنة في ضوء حديث "خذ ما صفا ودع ما كدر" ولغلبة الفكر غير الإسلامي جعل شعار ندوة العلماء "الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع".

وهذا الكتاب مجموعة المقالات التي ألقيت في هذا المعهد قبل أكثر من عشرين سنة ، وقد ألقي الضوء فيها على تاريخ أوربا ونهضتها والأفكار والحركات التي نشأت فيها ، والنظم السياسية كالرأسمالية ، فهي بمثابة دروس ألقيت على طلبة المعهد ليكونوا على معرفة باختصار بأفكار أوربا والمؤامرات الأوربية للسيطرة على الفكر والنظام السياسي في العالم الإسلامي.

وأشار بعض المهتمين بالفكر الإسلامي بطبع هذه الدروس لتعميمها في طلبة المدارس الأخرى ، فقد بذل تلميذي العزيز محمد وثيق الندوي جهده في جمع وترتيب هذه الدروس وتحقيق مصادرها ومراجعتها ، واعتنى بطبعها ابني العزيز محمد جعفر مسعود الحسني الندوي صاحب "دار الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع" وأشكرهما لهذا الاعتناء بالموضوع ، وشكر الله سعيهما في خدمة الإسلام والمسلمين وأسأل الله التوفيق والسداد والقبول.

محمد واضح رشيد الحسني الندوي

ندوة العلماء ، لكناؤ (الهند)

٢٣/شعبان/١٤٣٧هـ

٣١/مايو/٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

## سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد!

فقد بدأت النهضة الجديدة في البلاد الغربية للغلبة والسيطرة على بلاد الشرق منذ عدة قرون، ولم يلتفت في أولها قادة الأمة الإسلامية إلى خطرها من ناحية منهج الفكر الساري فيها والعمل الجديد الذي اختارته أوربا وفق ما كان تحمله فكرتها من التأثير، ولم يدركوا خطورة فكرتها في بدايتها، ولم ينظروا إليها إلا في ضوء الغلبة الحكومية والقوة العسكرية وحدها، واعتبروا التفوق الأوربي هذا في مجال القوة العسكرية والغلبة الحكومية، وأصيبوا بمركب النقص والانهزامية أمام هذه الغلبة والسيادة الأوربية.

مع أن السيادة والغلبة القومية لا تحصل بالقوة العسكرية وحدها، بل إنها تحتاج إلى القيادة العقلية والسيادة النظرية بالإضافة إلى القوة العسكرية، وإلى اختيار كافة الوسائل المقتضية لذلك، ومن

أهمها وسيلة الحكمة والعزيمة والتفكير المحكم ، فإن هذه الوسائل تحمل أهمية أساسية في سبيل بلوغ الهدف ونيل المرام والوصول إلى العز والشرف والتفوق على الآخرين .

وقع ذلك عندما أدركت أوربا عند انهزاماتها المتتابعة أمام القوى الشرقية الإسلامية أن سرّ سيادة المسلمين وتفوُّقهم ، هو في مجال العلم والحكمة والعمل ، فهو السبب الأكبر لتفوُّقهم ، فجعلت هذه الوسيلة هدف سعيها وذريعة قوتها ، وكان الجيش الإسلامي يحرز انتصارات وفتوحات في مواجهة القوات الأوربية ، واستهان القادة المسلمون بهذه الغلبة العسكرية بينما سارت أوربا بخطى حثيثة في مجال العلم والفكر لطلب القوة الحاسمة لها ، و بقيت الأمة الإسلامية على وضعها دون السعي في مجالات تصونها من الخطر في قوتها ووحدة عملها التي كانت ميزة الأمة الإسلامية ، فوقعت ثلمة في وحدتها لم ترتق حتى الآن ، تبدلت بذلك قوتها ضعفاً ووحدتها تفرقة وتمزقاً.

لم تكتف أوربا بسعيها الجاد لتقدُّمها ورقيها ، بل خطت خطوات إلى الأمام ، فاختارت وسائل وتدابير أخرى ، من أهمها وسيلة التشكيل الذهني ، وإن عمليتها للتشكيل الذهني قد أثرت على النشء الجديد تأثيراً عميقاً ، وجعلت أوربا نظام التعليم والتربية وسيلة مهمة لهذا التشكيل الذهني للأجيال الناشئة ، وفي هذه الناشئة شعوب الأمة الإسلامية في الشرق ، وهذه الذريعة هي التي لعبت دوراً هاماً في جعل أذهان النشء المسلم الجديد خاضعة للفكر

والتصور الأوربي عن الحياة، وعن هذا الطريق حدث تدريجياً في الطبقة المثقفة الشعور بتفوُّق أوربا والشعور بمركب النقص والانهزامية أمام الحضارة الغربية الغازية.

و لقد ثبت من البحث في أسباب الغلبة الأوربية على الشرق أن من أهم الوسائل التي أدت دوراً أساسياً في إنجاح عملية التشكيل الذهني، وسيلة التعليم ووسيلة الإعلام، فقررت أوربا التعليم لازماً لكل فرد من أفرادها، وعن هذا الطريق جعلت أوربا أفراد البلاد التابعة لها حاملين للفكر الذي اختارته ومتحمسين له، ولما تولى حملة هذا الفكر الأوربي مقاليد الحكم في الشرق صبغوا ملامح الحياة بصبغة هذا "الفكر الأوربي" و جعلوا الأجيال الجديدة في كل مكان وصلوا إليه أو أتيحت لهم الفرصة تابعة لهذا الفكر، وبخاصة عندما حصلت لهم الغلبة والسيطرة في الأقطار الشرقية، فاستطاعوا بذلك تغيير الأذهان، وصبغوا وسيلة التعليم بالصبغة التي أرادوها وسخروها لخدمة مصالحهم السياسية وتحقيق أطماعهم الاستعمارية.

وقد استعمل المفكرون والقادة الأوربيون وسائل الإعلام لتغيير أذهان الجماهير بأن لا يصل إليهم عما يقع ويحدث في العالم من أحداث وظروف وحقائق إلا ما يحقق الأهداف والمصالح الأوربية، وليس من الضروري أن تكون هذه المعلومات مطابقة للحقيقة والواقع، بل لابدَّ أن تكون موافقة لما يريده ويتوخاه أصحاب الإعلام.

إن هاتين الوسيلتين قد صبغتا أفراد الدول الشرقية، بصبغة

الفكـر الأوربـي وجعلتـاهم تـابعين للغـرض الغربـي ، ويرجـع سـبب ذلـك إلى تقـصير أهـل الـشرق في مجـال التعلـيم والإعـلام ، فأصبحوا عرضة لسياسة الغـرب ومؤامراتـه ، وأدرك بعـض أصـحاب الفكـر في الشرق هذا الوضع ، فألفوا كتباً كـشفوا فيهـا النقـاب عـن هـذا الفكـر الغربي ، ولكن هذه الكتب لم تكن بمتناول أيدي الجميع ، ولذلك لم تنفـع في هـذا المجـال ، ولكـن بـدأ النـاس يطلعـون علـى الغـزو الغربـي وأفكار أوربا وأهدافها بانتشار التعليم في الشرق إلى حدّ.

وإن هذا الكتاب الذي نقدم له ، حلقة مهمة في هـذا الـصدد ، وهو مجموعة محاضـرات ألقاهـا الأسـتاذ محمـد واضـح رشـيد الحـسني النـدوي علـى طلبـة المعهـد العـالي للـدعوة والفكـر الإسـلامي بنـدوة العلمـاء ، وقـد بحـث الأسـتاذ في هـذا الكتـاب أسـباب تفـوّق الغـرب وإستراتيجيته ووسائله ومؤامراته ومخططاته ضد العالم الإسلامي.

لما أدرك المفكرون والقادة الغربيون أن التعليم والإعـلام همـا مـن أنجـح الوسـائل لاسـتغلال الـشعوب واسـتنزاف طاقاتهـا لتحقيـق المـصالح والأطمـاع الغربيـة ، درسـوا أولاً تـاريخ الفكـر الإسـلامي ومنابعه ومـصادره العلميـة والأدبيـة ، وركـزوا عنـايتهم علـى عـرض وقائع التاريخ الإسلامي وحقائقه وفق خطتهم المرسومة ، وقـدموا في مؤلفـاتهم ودراسـاتهم وتحقيقـاتهم المزعومـة جوانـب مـن التـاريخ الإسلامي تشوه الفكـر الإسـلامي ، وجعلـوا هـذه الكتـب المـضللة في المنـاهج الدراسية مراجـع الفكـر الإسـلامي ، وبـذلك أصبحت هـذه الكتب مصدراً للدارسين من المسلمين وغير المسلمين لمعرفة الإسـلام

وأتباعه وفهم الدين الإسلامي وتعاليمه، لئلا لا يجد هؤلاء الدارسون والمثقفون إلا ما يحقق الهدف الأوربي، ويشوه وجه التاريخ الإسلامي، ويسيئ إلى سمعة آباء المسلمين وأجدادهم.

نظراً إلى خطورة هذا الغزو الفكري الغربي وأبعاده السلبية نهض المخلصون من أصحاب الهمّ الإسلامي والمفكرين المسلمين لمقاومة هذا الخطر الموجه من الغرب في القرن الماضي، وصنفوا كتباً لتنبيه المسلمين بهذا الخطر وإيقاظهم، فقد نهض في الهند العلامة شبلي النعماني، والدكتور محمد إقبال وأكبر إله آبادي لمقاومة هذا الغزو الأوربي، فنجد في كتاباتهم وقصائدهم الشعرية انتقاداً جريئاً على الحضارة الغربية ولكن هذه المحاولات المخلصة لم تتعد الأوساط العلمية، بل كانت مقصورة على المجالات العلمية والأدبية، ولكن عامة الناس والمثقفين بالثقافة الغربية وطلاب المنهج التعليمي الغربي لم يتأثروا بذلك كثيراً.

وأما المتخرجون من الجامعات والمعاهد الأوربية فقد أصبحوا يحملون في أذهانهم الفكر الغربي، و صاروا معجبين بالحضارة الغربية أشد الإعجاب، وبتأثير ذلك أصبحت الجماهير العامة أيضاً متأثرين بمنهج الحياة الغربي بتأثير وسائل الإعلام والصحافة، وأصبحت وسائل الإعلام تدريجياً أهم مصدر للمعلومات، وبذلك حصل انتصار كبير للفكر الغربي على الفكر الإسلامي.

فاشتدت الحاجة إلى تعريف العلماء والطلاب والدارسين بهذا الغزو الغربي للإسلام والمسلمين وما يحمله في طياته من أخطار

وأبعـاد خطـيرة، وقـد درس الأسـتاذ محمـد واضـح رشـيد الحسني النـدوي الفكـر الأوربـي وتـاريخ أوربـا القـديم والحـديث والغـزو الفكـري والثقـافي والـسياسي الغربـي دراسـة عميقـة متقنـة وأمينـة باللغتين العربية والإنجليزية، ثم قدم نتائج دراسته المقارنة ومعلوماته في محاضرات ومقالات منشورة في مجلة "البعـث الإسـلامي" و"الرائـد" وإن منهجه متسم بالمنهجيـة والـسمة العلميـة والأدبيـة، وهـذا المنهج يحمل تأثيراً حسناً في عرض الحقائق والمعلومات.

وكانت هذه المقالات والمحاضرات القيمـة مغمـورة في الملفـات والمجلات، فأخرجها تلميـذه الفاضـل ومـساعده العلمـي الأخ العزيـز محمد وثيق الندوي ورتبها وراجعها، والآن تقدم في كتـاب مـستقل، أرجو أنـه ينفـع في كـشف النقـاب عـن مـؤامرات القـوى الغربيـة ضـد الإسـلام والمـسلمين، والأطمـاع الاسـتعمارية والعـزائم التوسـعية للغرب، ومن خلال مطالعـة هـذا الكتـاب يطلـع القـراء الكـرام عـلى الوجه الكالح للحـضارة الغربيـة، و الدسـائس والمخططـات الأوربيـة الراميـة لـضرب الإسـلام والمـسلمين، كمـا يعرفـون الغـزو الفكـري الغربـي ووسـائله، والأفكـار والنظريـات والمنظمـات والحركـات الغربيـة، ويجـدون حلـولاً للقـضايا والمـشاكل الـتي تعـاني منهـا الأمـة الإسلامية، وطريقة معالجتهـا، ومـنهج مواجهـة الأفكـار والنظريـات والأيديولوجيات الغربية عن الحياة، والله ولي التوفيق .

٢٧/شعبان/١٤٣٧هـ محمد الرابع الحسني الندوي

٠٤/يونيو/٢٠١٦م رئيس ندوة العلماء العام، لكناؤ(الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

# تقديم وتعريف الكتاب

**د/ محمد أكرم الندوي، أكسفورد، لندن**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإننا نعيش في عهد يتميز بهيمنة الفكر الغربي على العالم البشري، وسيطرته على عقول الأفراد من الرجال والنساء، وتَغَلْغُلِه في أحشاء المجتمعات، وتصرُّفه في شؤون الدول والحكومات، وتسرُّبه إلى ظواهر الأمور وبواطن الأفكار، وتحكُّمه في الآراء ووجهات الأنظار، فما من ناحية من نواحي الحياة البشرية إلا وقد تسمَّمت بسمومه، وأصيبت بسهامه، وهو فكر جرَّ على البشرية من الويلات والشقاء ما لا يُوْصَف ولا يُقَدَّر، يعاني من انغلاق على نفسه، وانحراف عن الفطرة، وحصر للعقل في نطاق ضيق للثقافات الطاغية على الطبيعة، وعبودية كاملة للحضارتين الإغريقية والرومانية، وخضوع تامّ لما تملي عليه تقاليد اليهودية والنصرانية المحرَّفة، واستكانة للنعرات والهتافات الزائفة المُمَوَّهة من الديمقراطية والليبرالية والعلمانية.

وهذا الوضع مستمرّ بلا انقطاع منذ النهضة الأوربية الحديثة، ولا يوجد إلى الآن أي سعي فكري أو علمي أو عملي جادّ لتحرير البشرية من تلك الهيمنة وذلك الاستحواذ، لا في الشرق ولا في الغرب، ولا في دين من الأديان أو عرف من الأعراف، مع أن العالم كله يئنّ تحت وطأة هذا الوضع المؤلم والكارثة المأساوية، وكان المرجو من العالم الإسلامي - بصفته صاحب الرسالة السماوية الأخيرة وبأن نصيبه كان أوفر من عواقب هذا الاستعمار الفكري والاكتساح الثقافي - أن يتصدر العالم لإنقاذ البشرية من براثن هذه الحضارة المجحفة الظالمة وآثارها الطاغية الباغية، ولكنه أخفق في إدراك مدى خطورة الوضع، بل وتولى زمام أموره السياسية والاقتصادية والفكرية قومٌ كانوا متطفِّلين على مائدة الغرب ومغترفين من أنهاره ومبهورين بتطوراته ومخترعاته، نشأوا على إجلال نظرياته وفلسفاته، وشبُّوا على احترام آدابه ورسومه وعاداته، فكانت دعوتهم إلى التقليد الأعمى للغرب في كل صغير وكبير، وكل جزئي وكلي، وكل خفي وجلي، وتبعت هذه الدعوة دعوات تتسم بالتلفيق بين الفكر الإسلامي وبين تلك الأصول الثقافية والفلسفية والمبادئ السياسية والاقتصادية الأجنبية؛ بل والمعادية له والمتناقضة مع تصوراته ورسالاته، وهذه الدعوات التلفيقية لم تكن أقل ضرراً من الفكر الغربي المجرد، بل ومفاسدها أبلغ وأشدّ، وهي أكثر تشويها لصورة الإسلام وتمويها لحقيقته.

نعم هناك صوت خافت تردَّد صداه بين حين وآخر يتحدث عن وجود فكر إسلامي خالص متحرّر من كل عبودية للفلسفات البشرية والثقافات المصطنعة، ينظر إلى العالم بعين العقل ونور البصيرة، ويؤمن بالوحي والرسالة السماوية، ويرى الفلاح والسعادة في الإسلام لرب العالمين، وكان من آخر من نادى به العالم الرباني والمفكر العبقري والداعية الإسلامي العلامة أبو الحسن علي الندوي رحمه الله تعالى من خلال كتاباته وخطاباته في الهند وفي العالمين الإسلامي والغربي، ومما تميَّز به عن غيره من المفكرين في هذا العهد هو عمقه وجمعه واعتداله.

والكتاب الذي بين أيدينا تسجيل علمي أمين لتاريخ الصراع بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي، وعرض صادق واقعي للغزو الثقافي، وتحليل أكاديمي معتدل متوازن لحقيقة الحلول المستوردة وآثارها على العالم الإسلامي فكرياً وثقافياً وحضارياً، وهو عبارة عن دروس مرتبة ومحاضرات مفصلة قرّرها فضيلة شيخنا الجليل الأستاذ الناقد البصير محمد واضح رشيد الحسني الندوي ـ حفظه الله تعالى ـ على طلاَّب المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي بدار العلوم لندوة العلماء منذ أكثر من ثلاثين سنة حول موضوع الفكر الإسلامي والتحديات والأزمات التي تواجهه من جرَّاء الغزو الغربي العسكري والسياسي والفكري للعالم بأسره، توخَّى فيها أن يبرز آثار الحضارة الغربية وما تمخَّضت عنه من فلسفات النشوء والارتقاء والوجودية والفردية، ومذاهب العلمانية والديمقراطية والليبرالية،

التي هي بمثابة تحدّ صارخ للفكر الإسلامي، تعكّر صفو الثقافة الإسلامية، وتناقض القيم الدينية، والمثل البشرية الرفيعة، وتقطع صلة المسلم عن ماضيه وتاريخه، وليس الكتاب وليد حدث طارئ ولا نتيجة همّ موقت زائل؛ بل هو مما ناقشه صاحبه مع طلابه في الفصول الدراسية، وتناوله بالمراجعة وإعادة النظر فيه، وصاغه صياغة حسنة في منهج علمي أكاديمي، وأسلوب سهل مباشر بعيد عن أي تعقيد لفظي أو معنوي، فظهر دالاً على غزارة علم الكاتب، وسعة اطلاعه، وعمق فكره، وتفوّقه في العرض والتحليل.

والمؤلف ـ حفظه الله تعالى ـ أستاذ أكاديمي، ومدرِّس ألمعي، وكاتب مبدع قدير، ومفكر بصير، معروف بعطائه العلمي والفكري والأدبي في الأوساط الإسلامية منذ أكثر من خمسين سنة، موصوف بخلق حسن، وحلم ووقار، وتواضع كبير، واحترام وتقدير، تجمعه وتلاميذه وأصحابه محبَّةٌ عميقةٌ صافيةٌ، وحماسةٌ لتعاطي العلم والفكر والفقه والفهم خالصة، وقد تشرفتُ بأخذ أغلب موادّ هذا الكتاب منه مباشرة سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف وهو يدرّس مادة الفكر الإسلامي، وكان كل واحد من زملائي يشعر - ولعل ذلك شعور يتقاسمه جميع تلاميذه وأصحابه - بأنه قريبٌ منه، وأثيرٌ لديه حبيبٌ، يعطف عليه ببسمته ومودته، ويحرص على إفادته ونفعه، وتكوينه العلمي والأدبي، ولا أدري بأيهما كان تأثري أكثر وإعجابي أكبر، بعلمه الغزير وفكره العميق أو سلوكه السامي

وخلقه الرفيع، وهو في كلا الأمرين عديم المثال منقطع النظير. وزادني حُبًّا له وإجلالاً ما شاهدته خلال تلمذتي عليه وملازمتي إياه في الفصول الدراسية وخارجها من اهتمامه بمتابعة أوضاع الأمة الإسلامية لمعرفة سبب تخلُّفها السياسي، وتشتُّتها الفكري والاجتماعي، والتيه التاريخي الذي ضلّت فيه، والذي كلما حاولت الهروب منه باءت بالفشل، وإيمانه بأن السبيل الوحيد للخروج من هذا التيه هو استعادة الإسلام في حياة الفرد والمجتمع، والسياسة والاقتصاد، والفكر والثقافة، والعمل والتطبيق، والجسد والروح، فالإسلام عنده دين شامل متكامل، ومنهج فكري وثقافي حرٌّ مستقلٌّ، ونظام اجتماعي واضح الحدود والمعالم.

تصدرت الكتاب مقدمة من المؤلف، يقول فيها تعريفا بهذه المجموعة: "فهي بمثابة دروس ألقيت على طلبة المعهد ليكونوا على معرفة باختصار بأفكار أوربا والمؤامرات الأوربية للسيطرة على الفكر والنظام السياسي في العالم الإسلامي" . (ص ١١). وتلتها مقدمة من سماحة شيخنا الجليل العلامة محمد الرابع الحسني الندوي الرئيس العام لندوة العلماء، أشاد فيها بقيمة الكتاب العلمية وأبرز نواحيه المختلفة، وتلخَّص إلى أنه "من خلال مطالعة هذا الكتاب يطلع القُرَّاء الكرام على الوجه الكالح للحضارة الغربية والدسائس والمخططات الأوربية الرامية لضرب الإسلام والمسلمين، كما يعرفون الغزو الفكري الغربي ووسائله، والأفكار والمفاهيم الغربية، ويجدون حلولاً للقضايا والمشاكل التي تعاني منها الأمة الإسلامية

وطريقة معالجتها ومنهج مواجهة الأفكار والنظريات والأيديولوجيات الغربية عن الحياة". (ص ١٧).

وقسم الكتاب إلى خمسة فصول مُنَسَّقة مما يسلط الضوء على محاولته لمعالجة الموضوع معالجة شاملة متكاملة، بدأ الفصل الأول ببيان معنى الغزو الفكري وتاريخه ووسائله، وتحدث عن أوربا قبل نهضتها الحديثة، ثم ثورتها على الدين والقيم وحركة الإصلاح، والعداء بين العلم والكنيسة، وختم هذا الفصل بدراسة وضع أوربا بعد النهضة، ونشأة فكرة غزو العالم الإسلامي. "بدأ فكر الغزو الفكري بعد فشل أوربا في الحروب الصليبية، التي دامت من القرن الحادي عشر الميلادي إلى القرن الثالث عشر، فكانت هذه الحروب التي رفع فيها الصليب محاولة لأوربا لاستعادة ما خسرته من الأراضي" (ص ١٩) "الغزو الفكري يبقى، سواء بقيت القوات الغازية أم رحلت، فإذا تم غزو الفكر لشعب من الشعوب، فإن هذا الشعب يبقى مواليا ومتبعا مقلدا للغازي وإن انحسر ظله، فهو يحكمه، ويسيطر عليه من وراء البحار، ومن وراء الستار". (ص ٣٠).

وخصص الفصل الثاني لدراسة موضوع الحضارة الغربية المعاصرة، وعناصرها الأساسية مما توارثته من فلسفات وتيارات يونانية ورومانية ومن ثقافات وأفكار يهودية ونصرانية محرفة، بل ومن جوانب مادية بحتة وأبعاد دنيوية محضة من الحضارة الإسلامية اقتبستها أوربا خلال نهضة المسلمين في الأندلس ومصر وتركيا، وعرض الفلاسفة الذين ساهموا في تكوين الحضارة الحديثة وحددوا

اتجاهاتها من أمثال ميكافيلي، وفرانسيس بيكن، وريني ديكارت، وإسحاق نيوتن، ودارون، وفرويد، وسارتر، وكارل ماركس، وغيرهم. "إن الحضارة التي نقصدها هي الحضارة التي غزت العالم الإسلامي سياسياً وفكرياً وثقافياً خلال القرن التاسع عشر، واستعمرت معظم أنحائه إلى منتصف القرن العشرين، ولا تزال مذاهبها وفلسفاتها تسود فيها بشكل من الأشكال، رغم انحسار الاستعمار العسكري، وعندما نبحث في الحضارة يجب أن نبحث في تصور أصحاب الحضارة عن الحياة والإنسان والكون وخالق هذا الإنسان، والقيم الأساسية التي تنطلق منها وأهدافها". (ص ٥٩).

وقام في الفصل الثالث بتسليط الضوء على موضوع غزو أوربا للعالم الإسلامي، ووسائل هذا الغزو من التغريب والاستعمار والاستشراق والتبشير، وأسهب في بيان الاستشراق وأنواعه وكبار المستشرقين لإدراكه مدى خطورة الاستشراق، فإنه يخاطب الطبقات المثقفة من أبناء المسلمين والتي تتولى أزمة القيادة والتوجيه في بلاد العالم الإسلامي، وكانت نتائجه وآثاره عميقة في العقيدة ومصادر هذا الدين وسيرة نبيه صلى الله عليه وسلم وحياة أزواجه وأصحابه، والتاريخ الإسلامي والعلوم الإسلامية. "وأدرك هؤلاء القادة الغربيون أنه لا سبيل إلى تحقيق هذه الأهداف إلا بقطع الحبل الذي يربط المسلمين بهذه المصادر، وهو الشعور بالقدسية والأصالة، فعملوا على تحقيق هذا الهدف بطرق مختلفة، منها محاربة اللغة العربية الفصحى، والتشكيك في نقل هذه المصادر، وإثارة

قضايا علمية تاريخية فيها ، والهجوم على ذات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام ، والهجوم على التاريخ الإسلامي وأمجاده. وأصدرت المطابع في الدول الغربية بحوثًا ومقالات علمية بدعوى الدراسة الموضوعية في القرآن والحديث النبوي الشريف ، والتاريخ الإسلامي ، والدعوة الإسلامية ، وحياة المسلمين ، والحضارة الإسلامية ما ينفر القلوب منها ، ويثير الشكوك في الأذهان ، وأدرجت هذه البحوث في الدراسات ، ليس في الجامعات الأوربية وحدها ، بل في المدارس في البلدان الإسلامية". (ص ٨٢- ٨٣).

وعني في الفصل الرابع بمناقشة الأفكار والنظريات الغربية التي أثرت في العالم الإسلامي من العلمانية ، والاشتراكية ، والارتقاء والتطور ، والتحديات التي تواجه الفكر الإسلامي من طريق الدعوة إلى القومية والوطنية وإثارة العصبية وإعلاء الأجناس. "الدعوة القومية ظهرت في أوربا فتأثرت بتأثيرها دول إيطاليا وألمانيا وغيرها من الدول ، ونشر الاستعمار هذه الفكرة لتمزيق شمل المسلمين ، كبديل للرابطة الدينية لإثارة النعرات الانفصالية بينهم على أساس القومية ، وكانت هذه القومية السبب الرئيسي لانفكاك الخلافة العثمانية ، فقامت في تركيا الدعوة القومية الطورانية ، وفي المناطق العربية الدعوة إلى القومية". (ص ١٢٧). "من أخطر المذاهب الفكرية مذهب التطور الذي كان له تأثير على السياسة والاجتماع والأخلاق ، وكان الدين أكبر هدف له". (ص ١٥٥).

وختم الكتاب بالفصل الخامس الذي يتحدث عن الفكر الإسلامي في العصر الحديث ونشأته، وعن الصحوة الإسلامية وتباشيرها، والوسائل التي استخدمها المفكرون المسلمون للتحرر من آثار الفلسفات والأفكار الغربية عن الإسلام والتيارات المنحرفة عن صراطه المستقيم والتصورات المشوهة لوجهه الزكي المستنير، فإن تحديات الفكر الإسلامي المعاصرة لا تقل ضراوة عن التحديات السابقة بل تتفوق عليها. "وحقق الإسلام العودة إلى معترك الكفاح، والتحدي للحضارة الغربية في السبعينات من القرن العشرين عندما واجهت القيادات المتغربة في العالم الإسلامي في الفشل في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والعلمية والدفاعية، وظهر أن الاعتماد على الغرب كان كالسراب أو الجدار الذي ينهار بأدنى هزَّة، وخذل الغرب هذه الدول الإسلامية في كل محنة أو معاناة بانتماء أغلبيتها إلى الإسلام". (ص ١٦٧). "وفي وجه هذا الخطر الجسيم يتحتم على علمائنا من أجل التحرر الكامل من نيّر الاستعمار الأجنبي أن يقوموا بدراسة ناقدة شاملة مقنعة للتصور العلمي التقليدي الذي يسود العالم منذ ثلاثة قرون، ويتوجب علينا في هذا المضمار أن نمسك عن النظر إلى بلادنا وشعوبنا في مرآة التقدم، والقياس بمقياسه، والواجب الأول في تحرير أنفسنا أن نحرر العلم من فلسفة المادية، ونقاوم تأثيرها غير الإنساني ونوجد تصوراً موحداً للعلم في سبيل إيجاد علم إسلامي جديد بجهود أنفسنا وتفكيرنا الخالص ... وفي النهاية يجب أن نتخلى عن التصور الخاطئ

للتقدم المادي والرفاهية المادية كهدف للحياة الإنسانية، ولا نخدع أنفسنا بالشعارات الزائفة ..." (ص ٢٠٠).

ومما يمتاز به الكتاب هو معالجة الموضوعات في شمول واعتدال وتوازن، وعدل وإنصاف، وفي ثنايا الكتاب يطلع القارئ على الاعتراف بفضل أولئك المستشرقين الذين درسوا الإسلام وعلومه من منطلق إنساني نزيه وخدموا كتب التراث العربي والإسلامي من جوانب عديدة، كما يتضمن الكتاب تقدير المؤلف للجوانب الإيجابية في الحضارة الغربية، فمثلا يقول: "لقد ازدهرت الإنسانية في ظل الحضارة الحديثة، وارتفع مستواها في جوانب كثيرة، وسعدت الإنسانية بها، وحلت كثيرا من المشاكل التي كانت تعاني منها منذ قرون طويلة. فقد فتحت للعقل الأبواب، وتقدم العلم تقدما هائلا، واخترعت وسائل تحار حولها العقول .... رفعت الحضارة الحديثة من قوة الارتباط والوفاق، فيتمتع الفرد في المجتمع بشرف وكرامة وطمأنينة وضمانات في ظل نظم وقوانين لحقوق الإنسان، وأنشأت وكالات تراقب عليها وتنظمها ... ولا شك أنها جوانب النفع في الحضارة المعاصرة ومكاسبها، وتستحق أن يشاد بها". (ص ٦٢).

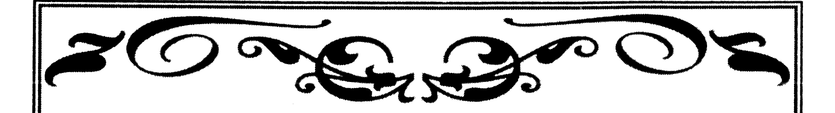
فالكتاب يشكل إضافة مهمة وضرورية في مكتبة الفكر الإسلامي، لغناه في مواده ومحتوياته، وعرضه لجميع المباحث المتصلة بالموضوع عرضًا وافيا، ومعالجته للقضايا الهامة من الفكر الإسلامي وتحدياته معالجة دقيقة، وهو كتاب جدير بالقراءة والتأمل في أفكاره، والنظر في استنتاجاته، ودراسة دعواته ومقترحاته،

ولاسيما في ظل التدهور الذي يشهده المسلمون ثقافياً وحضارياً، ولا ينبغي لطالب علم أو مثقف أن يفوته هذا الكتاب، ولو لم يقرأ عن الموضوع غيره لكفى، وجزى الله المؤلف عنا الجزاء الأوفى.

وكتبه

محمد أكرم الندوي

١٥ /من ذي القعدة ١٤٣٧هـ　　　　أوكسفورد



## الفصل الأول

# الغزو الفكري

## خلفياته وأسبابه

## أوربا قبل النهضة وبعدها

## الاستعمار الأوربي للعالم الإسلامي



بسم الله الرحمن الرحيم

# الغزو الفكري

تعبير حديث يستخدم مقابل الغزو العسكري، والفارق بينهما يكمن في الوسائل، لا في الهدف، الهدف هو الاستيلاء، والهيمنة، والسيطرة، ولأجل ذلك يجري عمل الغزو.

في الغزو العسكري يستخدم الجيش، والسلاح، للاستيلاء على الأراضي، وعلى سكان الأراضي، وفي الغزو الفكري يستهدف الغازي الاستيلاء على الأذهان، وتفكير سكان بلد من البلدان.

الغزو العسكري ينتهي بجلاء القوات الغازية.

الغزو الفكري يبقى، سواء بقيت القوات الغازية، أم رحلت، فإذا تّم غزو الفكر لشعب من الشعوب، فإن هذا الشعب يبقى موالياً ومتبعاً مقلداً للغازي، وإن انحسر ظله، فهو يحكمه ويسيطر عليه من وراء البحار، ومن وراء الستار.

والغزو الثقافي، محدود ومحصور على الجوانب الثقافية، وهو نتيجة للغزو الفكري، فإذا تغير الفكر، تغيرت الثقافة طبعاً، والثقافة هي أنماط اللباس، والأكل، والشرب، والبناء، والسلوك، والمعاملة، والأخلاق، أما الفكر فهو الموجه الرئيسي والمحول لاتجاه الإنسان، واختيار سبل الحياة، والسلوك.

**متى بدأ فكر الغزو الفكري :**

بدأ فكر الغزو الفكري بعد فشل أوربا في الحروب الصليبية، التي دامت من القرن الحادي عشر الميلادي، إلى القرن الثالث عشر، فكانت هذه الحروب التي رفع فيها الصليب محاولة لأوربا لاستعادة ما خسرته من الأراضي، وكان مقره الأندلس، ثم مصر، والشام، والعراق، وقد فشلت هذه الحروب، واعترف الغزاة بالفشل، فتوجهت جهودهم إلى استخدام وسائل الغزو العلمي والفكري، فأقبلوا على كسب العلوم، والمعرفة، والتقدم فيها، وقد كانوا يعيشون قبل ذلك في جهل مطبق لغلبة الكنيسة التي كانت قد أقفلت باب العلم، وأول من وجه إلى سلاح العلم هو لويس التاسع الفرنسي(Louis1X)(١٢١٤-١٢٧٠م)[1] إثر هزيمة في مصر.

ومن أسباب تصاعد هذا التحول تبنى الكنيسة هذا المشروع، وحركة الإصلاح الديني لمارتن لوتر(١٤٨٣م - ١٥٤٦م) وسقوط القسطنطينية، والأندلس، واختراع المطبعة، وجميع هذه الأحداث وقعت في القرن الخامس عشر وبعده، ثم ثورة فرنسا التي كانت نقطة انطلاق أوربا، وإقبالها على العلم، فأخذت العلم من المصادر

---

[1] لويس التاسع ملك فرنسا(١٢٢٦-١٢٧٠م) ابن لويس الثامن وخليفته، كانت أمه بلانش القشتالية (Blancheof Castile) وصية عليه، وهو قاصر، وأكبر مستشاريه حتى وفاتها، وقام لويس عام ١٢٤٨م، بحملة صليبية على مصر( الحملة الصليبية السابعة)تاركاً أمه وأخاه الفونسي(Alphonse) وصيين على العرش، وبعد أن هزم وأسر في المنصورة سنة ١٢٥٠م افتدى، لكنه بقي في الأراضي المقدسة حتى ١٢٥٤م، وقام لويس عام ١٢٧٠م بحملة صليبية جديدة على تونس، ولكنه توفي بالطاعون بعد قليل من نزوله في تونس، خلفه ابنه فيلب الثالث، رفع إلى القديسين سنة ١٢٩٧م.

الإسلامية كتلميذ، ثم دخلت في مرحلة التجربة، والتحقيق، ففاقت في العلم.

**وسائل الغزو :**

الأفكار، والنظريات التي نشأت في أوربا، بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، كان من رُوَّادها :

رينيه ديكارت(Rene Descartes1596-1650)، صاحب المنهج الاستنباطي

فرانسيس بيكن (١٥٦١-١٦٢٦م) صاحب المنهج التجريبي.

كومت(١٧٩٧-١٨٥٧م)(Auguste Comte) صاحب المنهج الوضعي.

دارون(Darwin) (١٨٠٩-١٨٨٢م) صاحب مذهب التطور، والارتقاء للإصلاح.

ماكيافيلي (Machiavelli)(١٤٦٩-١٥٢٧م) صاحب مذهب الغايات تبرر الوسائل.

روسو، وفولتير صاحب مذهب الحرية.

كارل ماركس(Karl Marx) (١٨١٨-١٨٥٧م) صاحب الفكر المادي والإلحادي.

**الحركات والمذاهب :**

الماسونية

الاستشراق

التغريب

التبشير

الديمقراطية

الاشتراكية

القومية

الوطنية

الوجودية

جمعيات البر والإحسان

وسائل التعليم والإعلام

الاستعمار

وهو بمثابة مظلة وغطاء لسائر هذا النشاط.

عصر غلبة أوربا فكرياً وثقافياً على الشرق الإسلامي: القرن التاسع عشر.

وقد بدأت شبكات التعليم تنتشر في الشرق في القرن الثامن عشر، وبذلك بدأ التقاء الشرق بالغرب في القرن الثامن عشر.

**كيف انقلبت الموازنين:**

كان المسلمون القوة الكبرى في العالم عسكرياً، وعلمياً، واقتصادياً، وكانت أوربا تحت سيطرة الكنيسة، في ظلام، وجهل، وفقر، وصراع، بدأ رجال من أوربا يتعلمون في مدارس المسلمين في القرن الحادي عشر.

بدأ الشعور في أوربا لاسترداد الأراضي المسلوبة، فأعلن زعماء الكنيسة الحروب الصليبية، وفشلت هذه الحروب، فتحولت

أوربا إلى العلم، بينما ركدت الحركة العلمية لدى المسلمين، واكتفوا بالحروب، واعتمدوا على القوة العسكرية.

وكان المسلمون يستولون على مساحة كبرى من العالم فيها ذخائر، ولها مواقع استراتيجية خاصة تسيطر على العالم.

**تأثير الفكر الغربي على الفكر الإسلامي:**

دخل الأوربيون في العالم الإسلامي عن طريق العلم في القرن الثامن عشر بعد أن استعان المسلمون بهم لتحديث جيوشهم، ونشر مراكز التعليم، فوصلت أفواج من علماء الغرب ونشروا مراكز التعليم، وأرسلت بعثات إسلامية إلى الدول الأوربية.

**كيف بدأ عمل التغريب؟**

في عام ١٨٢٦م فرض سلطان محمود الثاني (م١٧٨٤ـ ١٨٣٩م) الزي الأوربي على العسكريين، والمدنيين.

استقدم السلطان سليم المهندسين من السويد، وفرنسا، وإنجلترا، لإنشاء المدارس الحربية.

- قام محمد علي باشا(م١٧٦٩ـ١٨٤٩م) والي مصر ببناء جيش على النظام الأوربي.
- دخل أساتذة من فرنسا وإيطاليا في تونس في عهد أحمد باشا.
- انتشرت الإرساليات ومدارسها في لبنان، ومصر، في عهد خديو إسماعيل(م١٨٣٠ـ١٨٩٥م).
- أرسلت بعثة علمية تتكون من رفاعة بك طهطاوي (م١٨٠١ـ ١٨٧٣م) إلى باريس في ١٨٢٦م

- بدأت ترجمة الكتب الأوربية في عام ١٨٣٠م.
- أنشأ " كرومر" كلية فكتوريا بالإسكندرية لتربية جيل من أبناء الحكام والزعماء في محيط إنجليزي.
- نصارى مصر والشام تبنوا الفكر الغربي ، ونشروا الثقافة الغربية ، والأفكار الإلحادية ، والمعادية للإسلام ، كان منهم ناصيف اليازجي(م ١٨٠٠ـ ١٨٧١م) وإبراهيم اليازجي(١٨٤٧م ـ ١٩٠٦م)، وكان كلاهما على صلة بالإرساليات ، وبطرس البستاني (م١٨١٩ـ ١٨٨٣م)، ورفعوا شعار حب الوطن، والعلمانية، وأصدروا صحفاً ومجلات تنشر هذا الفكر.
- وفي المسلمين طه حسين ، قاسم أمين ، أحمد لطفي السيد ، كانوا دعاة التغريب.

# أوربا قبل النهضة

كانت إنجلترا في القرن السابع الميلادي إلى ما بعد القرن العاشر فقيرة في أرضها، منقطعة الصلات بغيرها، وحشية، تبنى البيوت بحجر غير نحيت، وتراب، تعمُّها الأمراض والأوبئة، ولم يكن الناس أحسن وضعاً من الحيوانات، يعيش رئيس القبيلة في كوخه مع أسرته.

وكانت أوربا كلها في ذلك العهد غاصة بالغابات الكثيفة، متأخرة في زراعتها، وتنبعث من المستنقعات روائح قاتلة، تجتاح الناس وتحصدهم، وكانت البيوت في باريس و لندرا، تبنى من الخشب، والطين، والقش، والقصب، لا منافذ فيها، ولا غرف، وكانت البسط مجهولة عندهم.

كانت الأسرة الواحدة تنام في حجرة واحدة تضم الرجال والنساء والأطفال، وكثيراً ما كانوا يؤوون معهم الحيوانات الداجنة، ولم يكن للشوارع مجار، ولا بلاط، ولا مصابيح.

قال درابر: "عمت الجهالة في أوربا، وساورتها الأوهام، فانحصر التداوي في زيارة الأماكن المقدسة، مات الطب، وعمت أباطيل الدجالين".

كان العالم القديم تقتسمه في القرن الحادي عشر مدنيتان، في الغرب مدن حقيرة صغيرة، وأكواخ الفلاحين، وقلاع لا هندسة

لها، وممالك مضطربة على الدوام بالحرب، لا يتأتى أن يسير فيها السائر عشرة فراسخ دون أن يسلب، أو ينهب، وفي الشرق مدن القسطنطينية، والقاهرة، ودمشق، وبغداد، وجميع مدن ألف ليلة وليلة، بما فيها من قصور المرمر وما حوت من المعامل والمدارس والأسواق، والحدائق الممتدة على بضعة فراسخ، ونظام الري يروي القرى والضياع، وحركة التجار لا تنقطع يذهبون آمنين من أسبانيا إلى فارس.

قال سنيوبوس: " إن العالم الإسلامي والعالم البيزنطي كانا أغنى وأحسن نظاماً ونوراً من العالم الغربي، كان النصارى يشعرون بنقصهم في التهذيب، ويعجبون باهتين مما يبدو لهم من غرائب الشرق، ومن يحب أن يدرس كان يقصد إلى مدارس العرب، ودخل النصارى المتوحشون إلى حمى المسلمين المتمدينين من طريقتين الحرب والتجارة ".

وقد دهش الصليبيون في القرن الخامس للهجرة لما بلغوا الشرق ووقعت أعينهم على مدن حافلة منظمة من بلاد الإسلام.

**الأمية الفاشية في أوربا:**

بينا كان شارلمان أعظم ملوك أوربا، وصاحب فرنسا، وجرمانيا، وشمالي إيطاليا، وهو معاصر للرشيد العباسي، أقرب إلى الأمية منه إلى النور، كانت كتب الفلسفة والعلوم المادية والأدبية يتنافس فيها علماء العرب في بغداد وقرطبة، وتترجم للمنصور العباسي من اللغة العجمية إلى العربية، وتترجم له كتب

أرسطاطاليس من منطق وهندسة ونجوم وسائر الكتب القديمة من اليونانية والفهلوية والفارسية والسريانية، وتخرج إلى الناس فينظرون فيها، ويتوقون إلى علمها .

ولانتشار الجهالة لدى الأمراء والسلاطين كانت الوحشية والبربرية غالبة عليهم، فكانوا يقتلون الأسرى، ويفقأون عيون النساء، ويجدعون أنوفهن، وسادت هذه البربرية والقسوة إلى القرن الرابع عشر والخامس عشر، وكانوا يتقاتلون لأقل سبب، ولا همّ لهم إلا السلب والنهب، ومن الناس من يقف على قارعة الطريق يستوقف التجار، ويسجنهم ويعذبهم.

يقول دوزي : " كان الناس تائهين في ظلام الجهالة لا يرون النور إلا من سم الخياط، والنور لا يسطع إلا من جانب الأمة الإسلامية، من علوم، وأدب، وفلسفة، وصناعات، وأعمال يد، وغير ذلك، وبغداد، وسمرقند، والبصرة، ودمشق، وقيروان، ومصر، وفارس، وغرناطة، وقرطبة، هي المراكز العظيمة للعلم، وعواصم أوربا التي ندهش بها اليوم أشبه بقرى لا علم فيها ولا عمران، وهي متأخرة في شئونها المادية والأدبية كافة".

وقال أحد المؤرخين الأفرنج : " إن معظم سكان أسبانيا الإسلامية كانوا يقرؤون ويكتبون في زمن كان فيه أهل الطبقة العليا في أوربا النصرانية أميين لا يقرؤون عدا أفراداً قلائل ".

وقال روبرتسون : " كان في أسبانيا في ابتداء القرن الخامس عشر مدن كثيرة أعمر من باقي مدن أوربا، وكان العرب أنشأوا في

مدنهم معامل ومصانع أيام كانوا حاكمين عليها ".

وغصت ديار المسلمين بالمجامع العلمية مؤلفة من علماء لا ينظر في اختيارهم إلى الدين الذي يدينون به، بل يراعى فيهم علمهم واختصاصهم.

وذكر جيبون: "أن ولاة الأقاليم والوزراء من المسلمين كانوا ينافسون الخلفاء في إعلاء مقام العلم والعلماء، وبسط اليد في الإنفاق على بيوت العلم، ومساعدة الفقراء على طلبه، فانتشر بذلك الذوق في الآداب، ووجدت اللذة في تحصيله بين الناس من سمرقند وبخارى إلى فارس وقرطبة، وقد أنفق نظام الملك مائتي ألف دينار في السنة على بناء مدرسة بغداد النظامية، وكان الذين يغذون بالمعارف فيها ستة آلاف تلميذ ".

ويقول جوستان ليبون في حضارة العرب:

" طال عهد الجهالة في أوربا، ولم يبد فيها بعض الميل للعلم إلا في القرن الحادي عشر، وبعبارة أصح في القرن الثاني عشر، ولما شعرت بعض العقول المستنيرة قليلاً من الحاجة إلى نفض كفن الجهالة الثقيل طرقوا أبواب العرب يستهدونهم ما يحتاجون إليه، لأنهم كانوا وحدهم سادة العلم في ذلك العهد ".

أنشئت مدرسة للترجمة في عام ١١٣٠م بعناية ريموند، رئيس الأساقفة، وأخذت تترجم إلى اللاتينية أشهر مؤلفي العرب، وعظم نجاح هذه الترجمات، وعرف الغرب عالماً جديدا، ولم تنقل إلى اللاتينية كتب الرازي وأبي القاسم وابن سينا وابن رشد وحدهم،

بل نقلت إليها كتب اليونان أمثال جالينوس وأبقراط، وأفلاطون، وأرسطو، وأقليدس، وأرخميدس، وبطليموس، وهي الكتب التي كان المسلمون نقلوها إلى لسانهم.

وذكر أحد المؤرخين " أن ثلاثمائة كتاب نقلها الغرب من العربية إلى اللاتينية في الطب وحده ".(١)

وفي القرن الثالث عشر للميلاد تجمع في إيطاليا عدد كبير من المثقفين الذين كانوا على اتصال بالثقافة العربية الإسلامية في الأندلس، فعرفوا بوساطتها أرسطو وكتبه، وقد كانت هذه المعرفة عن طريق الترجمات العربية، وظلت هذه الترجمات العربية والكتب العربية مقررة في المدارس التي أنشئت في أوربا على غرار مدارس العرب.

تقول الدكتورة هونكه Dr. Sigrid Hunke :

" قبل ستة قرون امتلكت كلية الطب في باريس أصغر مكتبة في العالم وكانت محتوياتها كتاباً واحداً، وهذا الكتاب لمؤلف عربي، لقد كان مؤلفاً قيماً جداً، حتى إن صاحب الجلالة ملك جميع المسيحيين لويس الحادي عشر أراد مرة استعارته فدفع تأميناً مبلغ اثني عشر ماركاً فضة ومائة ريال ذهباً، وكان غرضه من استعارته تمكين أطبائه الخصوصيين من الحصول على نسخة منه للرجوع إليها إذا ظهر على صحة صاحب الجلالة طارئ ما، وهذا الكتاب هو

---

١ - اقتبست هذه البيانات والاعترافات من كتاب " الإسلام والحضارة العربية" للدكتور محمد كرد علي، الجزء الأول، ص: ١٩٥- ١٩٨، القاهرة، ١٩٥٠م.

عبارة عن موسوعة لسائر المعارف والعلوم الطبية اليونانية القديمة إلى عام ٩٢١م ".

وتقول: "كتاب صغير وضعه الرازي يعتبر حجة في مادته، وقد طبع في أوربا في الفترة الممتدة بين عامي ١٤٩٨- ١٨٦٦م أربعين مرة، وإلى هذا المؤلف ترجع هذه البحوث الخاصة بالنقرس والحصوة، وأمراض المثانة والكلي وأمراض الأطفال ".

وتقول: لا عجب إذا قلنا إن المعاهد الأوربية ظلت زهاء ثلاثة قرون تعتمد على المؤلفات العربية فقط.

ويقول مؤرخ آخر: لو حذف العرب من التاريخ لتأخرت نهضة الآداب عدة قرون في الغرب".[١]

وقد اعترف بذلك الغربيون وأبدوا شعورهم بخوائهم العلمي قبل عهد النهضة، فعدوا ذلك العهد، أي عهد ما ٥٠٠- ١١٠٠ للميلاد "عصر الظلام". وقد وصف هذا العهد أحد المؤرخين بالكلمات الآتية:

"حينما كان أصحاب المقامات الرفيعة من الغربيين في القرن الحادي عشر ذوي الأخلاق العظيمة يفاخرون بأمتهم كانت للأندلسيين مكتبة في قرطبة فيها ستون ألف كتاب خطي".

وفي أثناء ما كان العثور على كتاب في كل من فرنسا وألمانيا وإيطاليا في القرن الثاني عشر يعدّ من النوادر، كان الأندلسيون ينتقلون ما بين سبعين مكتبة فيها كتب قيمة.

---

[١] ـ الإسلام والحضارة الغربية للدكتور كرد علي ص ٢٠٦

ولما بحثت أوربا عن العلم بادرت لاقتباس النور إلى أطراف الوادي الكبير "الأندلس" حيث كانت جامعات قرطبة و طليطلة وبلنسية ([1]).

كان القرن العاشر من أصعب فترات التاريخ في أوربا ، فقد كان يجري فيها صراع شديد بين رجال العلم والكنيسة ، فواجه كثير من العلماء محناً وشدائد لموقف الكنيسة المعادي للعلم ، وخضوع الحكومات المسيحية لأحكامها ، فأعدم عدد منهم بتهمة الكفر.

ويذكر درابر قصة طريفة ، أن سلفستر الثاني Sylvestre الفرنسوي (١٠٠٣- ٩٣٠م) الذي كان يدرس في دير بمدينة في أوربا ذهب إلى الأندلس ، وأقام في أشبيلية وقرطبة ، وتخصص في الحساب و الطبيعيات على رياضيين عرب ، فلما عاد إلى أوربا مضطلعاً بالعلوم والمعارف حسبه الناس ساحراً ، واتخذه بعض الملوك مؤدباً لأولادهم ، وتنقل في مراتب عالية إلى أن وصل إلى رتبة البابوية سنة٩٩٩م ، ولما عرف الرجعيون قتلوا الملك وألحقوا به البابا أيضاً".

كلفت محكمة التفتيش الأوربية (Inquisition) بأيدي البابوات في القرون الوسطى عشرات الضحايا من باحثي العلم بجريمة البحوث العلمية ، وقد كان الأساقفة يعتقدون أن القول بكون الأرض مدورة يتنافى مع الدين ، وصنف كوبر نيكس كتاباً في حركة الأرض ومركزية الشمس فصدر الحكم بتكفير من يقرأ الكتاب وأيد الجليليو باختراع العينات ما اكتشفه كوبر نيكس ، فسجن ومات في السجن ،

---

[1] الإمبراطورية العثمانية

وأحرق برونو حياً لأنه كان يعتقد بتعدد العوالم[1].

بدأت الحروب الصليبية في عام ١٠٥٥م، ونفخ البابوات روح الكفاح في العالم الأوربي، فأتاحت هذه الحروب فرص الاختلاط بالمسلمين والاختلاف إلى العواصم العربية، ودراسة نظم التعليم والتربية لدى المسلمين، والتعرف على مدى ما وصلت إليه الحضارة في العالم الإسلامي، وما كانت عليه المدن الإسلامية من النظام، والتأنق، والرقي، وما يتوفر في أسوا قها من وسائل.

يقول مؤرخ غربي: " كان للحروب الصليبية تأثير عظيم على مدنية الأجيال، فإنها عجلت النهضة السياسية والاجتماعية التي كانت تنتظر للظهور، ونشطت التجارة والصناعة، فهيأت أسباب النهضة العلمية والصناعية".

ويقول:

"من ذلك الوقت بدأ ارتقاء العلوم فأدخلت إلى الغرب الأرقام المسماة بالأرقام العربية، وقامت مقام الرومانية، وأن مصدر اسم الجبر الذي أتقنه العرب هو من لغتهم".

وقال:

"إن العرب هم معلمونا الأولون لعلوم الفلك والطبيعيات والكيمياء والطب".

وقال إي. ايم. برنسن في كتابه: " إن التقدم الأوربي العقلي في

---

[1] الدين والعلوم العقلية للأستاذ عبد الباري الندوي بالأردية ونقله إلى العربية المؤلف ص: ١٧

القرنين الثاني عشر والثالث عشر مدين للتجارة المتبادلة مع الشرق الأدنى، وأعمال العلماء والمترجمين في الأندلس وصقلية، أكثر من الحروب المقدسة ضد الأتراك ".

بدأ اقتباس الغرب للعلم من مراكز العلم في طليطلة وقرطبة وغرناطة في القرن العاشر، وفتحت مدارس على غرار تلك المدارس، ويقول برن في كتابه :

"إن أقدم الجامعات في أوربا ترجع إلى القرن الحادي عشر وبين القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر فتحت جامعات كثيرة في أوربا، وفتحت الجامعة الأولى في ألمانيا في القرن الرابع عشر، بينما فتحت أكسفورد وكمبردج في بريطانيا في القرن الثالث عشر للميلاد".

إن أوربا التي ثارت على الكنيسة وطورت نظم حكمها تطويراً جديداً وادعت أنها تخلت عن الدين، وعندما اقتحمت البلدان الإسلامية عن طريق علمائها، وأطبائها، ومدرسيها، اقتحمت كقوة تبشيرية، ووجد تحالف عظيم بين العلم والدين، بل بين العلم والدعوة إلى المسيحية، وصدرت أوربا مبشرين، وقامت بتربية الأطباء والمدرسين للعلوم وللغات الأوربية، والعاملين في المصانع والمختبرات، والمدارس الابتدائية ليعلموا أثناء ممارسة مهنهم العقائد النصرانية، وعندما استولت أوربا على أجزاء العالم الإسلامي قامت بالتنصير الإجباري، و عاملت معاملة التمييز بين المسيحيين وغير المسيحيين، وانتشرت الجمعيات التبشيرية و أنشئت مطابع لطبع الكتب الدينية، ولم تقم بعمل التبشير فحسب بل قامت بطمس معالم الحضارات

الأخرى، وإلغاء الشرائع الأخرى، والقضاء على اللغات والثقافات للأمم التي استولت وأكرهتها على تغيير معتقداتها وثقافتها، وكان موقفها موقف الانتقام وأخذ الثأر من المسلمين بصفة خاصة.

**كيف ثارت أوربا على الدين والقيم:**

كانت الكنيسة تسيطر على الحياة سيطرة كاملة، وقد سدت جميع منافذ الحرية، وأغلقت باب العلم، وجعلت الملوك في أوربا خاضعين لإرادة البابوات، وتحالفت مع النظام الإقطاعي، والطبقي، منذ القرن السادس، وعاشت أوربا في هذه المدة الطويلة التي تمتد إلى القرن الثالث عشر في ظلام، ينتشر فيها الفقر والجهل والحروب، ويعاقب كل من يرفع صوته للحرية، معاقبة شديدة، وبُذلت محاولات للإصلاح في النظام في مناسبات عديدة، ولكن قوة الكنيسة كانت أقوى على كل من مصلح، فلم توفق هذه الجهود، ويرى بعض المؤرخين أن الوضع الاجتماعي والاقتصادي في أوربا كان وراء الحروب الصليبية التي شنها البابوات، وإن العنصر الديني كان ضعيفاً بالنسبة للعناصر الاقتصادية والاجتماعية، وكانت هذه الحروب لصرف الانتباه عن الوضع المظلم في أوربا.

وساعدت الحروب الصليبية الفاشلة على وجود تذمر في أوربا ضد الكنيسة، وعم الشعور بأن الدين عقبة في سبيل التقدم، والإصلاح، ولوجود هذه النفسية يجب أن نعرف ما كان الوضع الديني السائد في ذلك العصر الذي اعتبره الناس معارضاً للتقدم، وبذلك ثاروا عليه.

يقول برنس Burns :

"كان الدين في أوائل القرون الوسطى يقوم على تصور قنوطي ، جبري ، يدور حول شيء ليست له صلة بالدنيا ، أو بالحياة المعاصرة ، وكان يعتبر فيه الاشتغال بأمر من أمور الدنيا مشغلاً شيطانياً ، وكان الإنسان غير صالح وغير قادر على عمل ، يخضع كلياً لإدارة ربه ، يصرفه كيف يشاء ، لا خيار له ، يدخل من يشاء في الجنة ، ومن يشاء في النار ، وتغير هذا التصور في القرن الثالث عشر ، ونالت الحياة وأمورها الأهمية ، وتغيرت النظرة إلى الإنسان ، فلم يعد الإنسان شراً كله ، وبدأ يتصور أن الإنسان مختار يستطيع أن يقوم بدوره في حياته و يسعد نفسه بأعماله ، ويطهر نفسه ويحفظها من الشيطان ".

وكذلك تغير موقف الكنيسة نوعاً ما بالنسبة للعلم ، وسلمت أهمية العلم إذا كان يكسب العلم تحت رعايتها ، وقبلت العلوم التي تخدم الكنيسة.

وهكذا وجدت ليونة في موقف الكنيسة إزاء الحياة وإزاء العلم في القرن الثالث عشر ، ولكن الكنيسة احتفظت بسيطرتها ، وكان كل من يخالفها يلاقي الاضطهاد والعقاب الأليم من رجال الكنيسة.

كان سقوط القسطنطينية في القرن الخامس عشر (١٤٥٣م) هزة كبرى بالنسبة لأوربا ، وقد نمى الشعور في أوربا بالإقبال على العلم بانتقال الكتب من القسطنطينية إلى إيطاليا وأماكن أخرى ، فبدأ الناس يتجهون إلى العلم ، وزاد الاتجاه اكتشاف آلة الطباعة ، والتي نقلت بها كتب الفلسفة أولاً ، وبالإقبال على الكتب الفلسفية

والعقلية ضعفت الصلة بالكنيسة.

**حركة لوتر الإصلاحية تقضي على نفوذ الكنيسة :**

وقد كان لمارتن لوتر(١٤٨٣- ١٥٢٦م) دور كبير في تحديد سلطة الكنيسة ، فإنه ثار على النظام البابوي في ١٥١٧م ، وألف مذهباً جديداً ، عرف بمذهب البروتستنت ، ونالت حركته القبول في ألمانيا التي سبقت إلى العلم والبحث قبل الدول الأخرى ، فزالت بحركته هيبة الكنيسة الكاثوليكية التي كانت تسيطر على الدول المسيحية ، وساعد نقل الإنجيل إلى اللغات المحلية من اللغة اللاتينية على القضاء على النظام الوحدوي في الدول الأوربية ، كما ساعد ذلك على نشوء قوميات متعددة ، وتفسيرات حرة للإنجيل ، واقتصر الدين على حضور صلاة الأحد ، وبانتشار حركة العلم التي كانت تجري رغم أنف البابوات وأصبح الدين مسألة شخصية ، وجرت الحرب بين الكاثوليك والبروتستنت ثلاثين سنة انتهت بإبرام معاهدة صلح.

تقول مريم جميلة في كتابها (Islam Versus Western Civilization):

" إن حركة إصلاح بروتستنت ألحقت بالكنيسة ضربة قاضية لم تقم منها الكنيسة حتى الآن ، فقد قطع مارتن لوتر صلته بها كلياً ، وقرر إنشاء دين جديد ، وإن هذا الانفصال لم يكن سببه الفساد و الاستغلال الديني كما يُعرف عامة ، وإنما كان سببه الإقبال على العلم والصناعة الذي شاع في ألمانيا ، وبازدياد هذا الإقبال ساد النفور من الدين وسيطرة روما ، وبدأ الناس يفخمون أهمية كسب

الثروة واستهجنوا الفقر والجهالة، واعتبروها لعنة إلهية".

وإلى أحد أتباع مارتن لوتر ترجع فكرة فصل الدين عن السياسة التي اتخذت شكل معارضة لسيطرة الكنيسة على الدولة وهو (Thomas Erastus) (١٥٢٤- ١٦٨٠م)، وقد ألف رسالة نشرت في عام ١٥٨٩م.

ومن الأسباب لتحديد الدين:

١- رد فعل اضطهاد الكنيسة للعلم

٢- ظهور مبدأ العقل والطبيعة

٣- ثورة فرنسا ١٧٨٩م التي نشأت بها فكرة الوطنية التي أساسها الوطن لا الدين.

٤- بروز كُتَّاب وجهوا الدعوة إلى التحرر عن الدين والحرية الفكرية كروسو، واسينوزا.

٥- نظرية التطور لداروين.

وفي عام ١٩٠٨م نشأت في فرنسا فكرة معارضة الدين كلياً، واستئصال جذور كل ما يمت إلى الدين، وهي فكرة العلمانية المعادية للدين، التي اختارها الاشتراكيون، واختارها مصطفى كمال أتاترك في تركيا، ومن ألد أعداء الكنيسة الكاثوليكية الماسونية.

ويعتبر ماكيافيلي الإيطالي (١٤٦٩- ١٥٢٧م) قائد مذهب الخداع و المراوغة، وهو الذي دعا إلى المذهب القائل إن الغاية تبرر الوسيلة، وقد وجد هذا الزعيم في العهد الذي كانت تجري فيه مناوشات وصراعات عسكرية بين الدويلات الصغيرة في أوربا،

وتعرضت إيطاليا لغزو فرنسا، فأحدث ذلك رد فعل عنيف في ميكافيلي الذي فقد منصبه، فألف كتابه "الأمير" الذي يشتمل على فكرته، وكان ذلك بداية للانسلاخ من القيم والمثل في السياسة و نظام الحكم، واتخاذ كل ما يمكن من وسائل لخدمة المصالح السياسية، ومن ذلك سفك الدماء، والتدمير، ونقض المعاهدات، ونالت هذه الفكرة القبول في الدوائر السياسية، واحتضنت هذه الفكرة الحكومات الفاشستية في أوربا، وكان كتابه قدوة لكثير من الحكام، وبذلك انفصلت السياسة عن الدين والمثل.

**الصراع مع الدين والثورة عليه :**

إن الفلسفة والعلوم التجريبية التي نشأت في أحضانهما المدنية الغربية ما زال اتجاهما إلى الدهرية والإباحية، والإلحاد، وحب المادة، منذ خمسة قرون، وقد نشأت هذه المدنية في جو الصراع مع الدين والإيمان.

كانت المعارضة للدين في القرن السابع عشر وأفكاره تجري بنوع من التحفظ، ولم يكن الباحثون صرحاء في ذلك إلا أنهم أبدوا شكوكهم في ما بعد الطبيعة، وأكدوا ضرورة تصديق ما يثبت بالتجربة فلم يغلب طابع الإلحاد على البحث العلمي كليا.

يقول الأستاذ المودودي: "لم يكن كوبر نيكس (Copernicus) وكيبلر (Kepler) وجيليلو (Jialilio) ونيوتن وغيرهم من أساطين العلوم الطبيعية منكرين للوجود الإلهي، ولكنهم كانوا يقصدون من بحثهم عن أسرار هذا الكون بقطع النظر عن النظرية الإلهية، وهذا

النفور من النظرية الإلهية كان هو القوة للدهرية والمادية اللتين طلعتا من شجرة حرية الفكر فيما بعد ".

**معارضة العلم للكنيسة :**

في القرن الثامن عشر ظهر اتجاه إلى أن البحث في العلم لا بد أن يصل إلى الإلحاد والمادية ، واللادينية ، فكان الفلاسفة ينفون وجود الله علماً ، أو يصدقونه من حيث هو حاكم دستوري.

وحاول كانت (Kant) وبركلي اختيار طريق وسط بين العلم والدين والموافقة بين المذهبين الإيمان والمادية ، ولكن محاولتهما باءت بالفشل.

وفي القرن التاسع عشر بلغت المادية منتهاها ، وعرض سبينسر (Spencer) بقوة وشدة النظرية القائلة بحدوث هذا الكون بدون خالق ، وساعدت على شيوع هذا التفكير الاكتشافات العلمية.

**معاداة الدين تصبح حركة عالمية :**

ومن أعداء الدين كارل ماركس (١٨١٨- ١٨٨٣م) الذي وصف الدين بأنه أفيون الشعوب ، وبعد الانقلاب في روسيا بقيادة لينن في عام ١٩١٧م أصبح الدين العدو الأول ، وأصبحت معاداة الدين ومكافحته حركة وسياسة دولة أغلقت بها أماكن ممارسة الشعائر الدينية ، واعتبر كل من يحمل الاتجاه الديني عدواً للبلاد ، وخائناً ، وخضعت لهذه الحركة أوربا الشرقية وعدة دول في آسيا وإفريقيا.

# أوربا بعد النهضة

إذا استعرضنا الحركة العلمية وجدنا أن المسلمين كانوا يحملون لواء العلم والفكر من القرن الثامن للميلاد إلى القرن الخامس عشر للميلاد، أي أكثر من سبعة قرون، نبغ فيها حكماء ، وفلاسفة ، وباحثون في جميع ميادين العلم، والفكر، والأدب، والفن، وكان منهم قادة ، وحكام، ومدبرون، وبدأت النهضة الأوربية التي استمدت من الحضارة الإسلامية من القرن السادس عشر، وبلغت ذروتها في القرن الثامن عشر.

كان القرن الثامن عشر عصر التنور Age of Enlightenment استعرض فيه المفكرون الأوربيون في ضوء دراساتهم الحرة وتجاربهم، والمعرفة العلمية، جميع مؤسسات الحياة الإنسانية، في ضوء العقل المجرد، بدون التأثر بالدين، والأعراف، والتقاليد، ونتيجة لهذه الدراسة الناقدة تعرضت جميع المؤسسات والأفكار السابقة التي كانت معروفة ومألوفة للنقد اللاذع، وبالأصح للنقد التخريبي، والنقد الهادم، وعكف المفكرون على هدم كل ما كان يتصل بالماضي، وشكّوا في المسلمات ، وقد ألحق هذا الموقف بالحياة الإنسانية ومؤسساتها القائمة ضرراً كبيراً، فتزحزحت الأفكار الإنسانية من حيث المجموع، ولكنه أفاد المعرفة في جوانب.

منحت أفكار "فولتير"Voltaire(١) تصور حكومة تمثيلية ، كما أفاد جين جوك روسو (٢) في تصور الديمقراطية وتحرير التعليم ، وأحدث الكاتبان في المجتمع الأوربي انقلاباً فكرياً أدى إلى ثورة ، وكانت "فرنسا" المحل الأول لهذه التجربة التي أثرت على أوربا كلها ، وقد قامت محاولات لنيل الحقوق الديمقراطية في "إنكلترا" قبل ذلك ، ففي عام ١٦٨٨م حدثت ثورة في "بريطانيا" وأجريت إصلاحات في النظام التقليدي ، ولكن الثورة الفرنسية التي حدثت في عام ١٧٨٩م كانت أقسى وأكبر ثورة حدثت في ذلك العصر ، وسفكت في هذه الثورة الدماء ، واستولى في النهاية على الحكم رجال الطبقة المتوسطة ، وحدثت حوادث في البلدان الأوربية ، ونادت هذه الثورة بحرية الفرد الإنساني ، وجعلت رغباته وطموحه أساساً لكل نظام ، سواء كان ذلك في السياسة ، أم في الاقتصاد ، أم في الاجتماع ، أم كان في التعليم والتربية والأخلاق ، ودرجت النظام الرأسمالي في الاقتصاد ، والنظام النيابي في السياسة ، وفصل الدين والأخلاق عن كل نظام.

قامت في فرنسا بعد الثورة التي بدأت في ١٧٨٩م حكومات متعددة ، ومرت فرنسا بتطورات سياسية كثيرة إلى عام ١٧٩٢م ، وتولى الحكم بعده حكام مغامرون ، كان اهتمامهم الأكبر غزو أرض جديدة ، وكان من حكامها الطامحين نابليون (٣) الذي غزا عدداً من

---

١ Voltair Francois Marie Arouet, Le Jeune(1694-1778 فرانسوا ماري أروية (١٦٩٤- ١٧٧٨م)

٢ Jean Jacques Rousseau(1712-1778)

٣ Napoleon Bonaparte(1769-1821)

دول أوربـا ودخـل مـصر في عـام ١٧٩٧م وحـدثت في إنجلـترا عـدة ثـورات للحقـوق الديمقراطيـة، وفي عـام ١٨٤٨م عمـت الثـورات في مختلـف بلـدان العـالم الأوربـي، واضـطرت هـذه الـدول إلى قبـول إصـلاحات في النظـام الـسياسي والاقتـصادي، وتغـيرت المؤسـسات العامة، وكان في مقدمتها نظام التعليم الذي تأثر بحركة حرية الفـرد، تأثراً كبيراً، وسخر العلماء العلـم لحـل مـشاكل الحيـاة، ووصـلوا إلى اكتشاف مجالات متعددة ، وبفضل هذه الحركات استطاعت أوربا أن تحصل على وسـائل المواصـلات الـسريعة، وتطـوير صـناعة الحديـد، واستفادت أوربا في فـرض نفوذهـا عـلى العـالم الخـارجي الـذي كـان يتسكع في وضع تخلّف في جميع ميادين الحياة.

**فكرة غزو العالم الإسلامي :**

أرسـل ليبينـز Leibniz (١٦٤٦- ١٧١٦م) إلى لـويس الرابـع عشر وصية تعتبر وثيقة الاستعمار مؤرخة ١٥ /مارس١٦٧٢م قال فيها.

"أريد أن أتحدث إليكم يـا مـولاي في مـشروع غـزو مـصر، ولا يوجد بـين أجزاء الأرض بلـد غـير مـصر، يمكـن الـسيطرة معـه عـلى العالم كله، وعلى تجارة الدنيا بأسرها، وحتى تستطيع أن تلعب هذا الـدور لـسهولة اسـتيعابها لعـدد كـبير مـن الـسكان ولـسبب خـصب أرضها المنعدم المثال، ولقد كانت فيما مضى من الأيام مهداً للعلـوم ومحراباً لنعمة الله، ولكنها اليوم معقل الديانة المحمدية التي تغور بنا، ولأي داع تخسر المـسيحية تلـك الأراضـي المقدسـة الـتي تـصل آسـيا بإفريقيا، والتي جعلت فيها الطبيعة حاجزاً بين البحر الأبيض والبحر

الأحمر، ومدخلاً لبلاد الشرق بأجمعها، ومستودعاً لكنوز أوربا، والهند، ولديكم من وسائل ما يجعل مصر سهلة المنال.

وإذا كانت القسطنطينية قلعة لجيوش الإمبراطورية العثمانية إلا أن الهجوم المباغت لن يترك لها فرصة النجدة لبعد الشقة بينها وبين أوربا، ومصر تكتنفها صحراوات واسعة"(١).

بدأ استعمار الغرب للعالم الإسلامي في القرن السابع عشر، وإن كانت سواحل الهند الغربية قد خضعت للاستعمار البرتغالي في القرن السادس عشر.

وصل الهولنديون إلى "إندونيسيا" كتجار، وما لبثوا أن ظلوا فيها مستعبدين أهلها في القرن السابع عشر.

وفي القرن الثامن عشر تمكن الإنجليز بوسائل مختلفة من أجزاء في الهند، وتمّ استيلاؤهم على الهند كلها عام ١٨٥٧هـ، وسقطت حكومة المغول.

واستولت روسيا على شبه جزيرة القرم من أملاك الدولة العثماينة، ثم على سيبريا في القرن الثامن عشر، واستولت بريطانيا على جنوب الجزيرة العربية وساحلها الشرقي، ثم مصر والسودان في القرن التاسع عشر، واحتل الفرنسيون شمالى إفريقيا، وبعض أواسطها في هذا القرن، وفي القرن العشرين استولت روسيا على الولايات العثمانية المسلمة آذربيجان، وتركمانستان، وأوزبيكستان، وقيرغستان، وقازاخستان، وداغستان، واستولت فرنسا على

---

١- معالم التاريخ الإسلامي المعاصر ص: ٤٢، أنور الجندي

الجزائر عام ١٨٣٢م، واحتل الفرنسيون سوريا، ولبنان، ثم سقطت ليبيا في يد الاستعمار الإيطالي الغاشم في أوائل القرن العشرين، وأخيراً اندثرت الخلافة العثمانية في الآستانة.

بدأ نفوذ الإنجليز في الهند في أوائل القرن السابع عشر، وقد وصل بعض الأطباء ورجال التجارة إلى الهند، واتصلوا بالبلاط المغولي، وكسبوا ثقة بعض الحكام، وتوسع هذا النفوذ عندما وصل جون ملدنهال John Mildenhall مبعوث شركة الهند الشرقية (The English East India Company) التي أنشئت في لندن عام ١٦٠٠م، إلى آجرا (Agra) ونال بعض الحقوق التجارية في عام ١٦٠٨م، وتوسعت هذه التسهيلات، فرفع عن البريطانيين التجار المكوس والرسوم الجمركية، وخصصت لهم أماكن للقيام بالنشاطات التجارية والطبيعية والتعليمية، وازداد نفوذهم في بنغال، وأبرمت معهم معاهدة لإنشاء مدينة في جنوب الهند، وأنشأوا مستوطنات لهم في "بنغال" و"بيهار"، وبعد مؤامرة مير جعفر في عام ١٧٥٧م استولوا على أجزاء من بنغال، وكانوا قد دبّروا مؤامرة في عام ١٦٨٨م للسيطرة على "بنغال" لكنهم أخفقوا في ذلك، واستفاد الإنجليز من نشوء دويلات صغيرة في مختلف أرجاء الهند، فقاموا بتحريض بعض الحكام على الآخرين، وإحداث ثورات لقطع هذه المواضع من العاصمة التي كانت في حالة ضعف شديد، بعد وفاة أورنج زيب عالمكير (م ١٧٠٧م).

استولى الإنجليز على التجارة الخارجية للهند كلياً في عام

١٧٥٩م، وبعد تراجع الهولنديين فاستولوا على بونديشري (Pondichery).

نظم Robert Clive و Watson القوات الإنجليزية ، ولما جاء وارن هستنك Warren Hastings كحاكم بنغال (١٨١٨-١٧٣٢م) أجرى إصلاحات في التعليم والقضاء والاقتصاد، وأنشأ مدرسة كلكتا (Calcutta Madrasa) في ١٧٨١م، وفي عام ١٧٩٢م انتصر الإنجليز على قوات تيبو سلطان (م ١٧٩٩م) فسيطروا على جنوب الهند.

وفي عام ١٧٩٣م أجرى الإنجليز إصلاحات إدارية وعززوا سيطرتهم ، وحولوا القضاء الشرعي إلى القضاء البريطاني، وفرضوا القيود على الهنود، ومنعوا دخولهم في المناصب العليا، وأعلنوا اللغة الإنجليزية اللغة الرسمية ، وأنهوا العمل باللغة الفارسية في عام ١٨٣٧م.

تم استيلاء الإنجليز على أودهـ Avadh في عام ١٨٥٦م، وتم استيلاؤهم على "دلهي" العاصمة في عام ١٨٥٧م، وفي عام ١٨٥٨م انتهى حكم شركة الهند الشرقية، وقام حكم نائب الملك Viceroy ، وخضعت الهند كلياً للتاج البريطاني.



## الفصل الثاني

# الحضارة

# الحضارة الغربية المعاصرة

# عناصرها وإيجابياتها وسلبياتها

# الفلاسفة الذين كونوها

# أفكارهم ونظرياتهم



# الحضارة الغربية المعاصرة

**الحضارة** في اللغة : الإقامة في الحضر ، قال القطامي:.

من تكن الحضارة أعجبتـه
فأي باديـــــــة ترانـــا
ومن ربط الجحاش فإن فينا
قنا سلباً وأفراســاً حصـــانا

وهي ضد البداوة لغوياً ، وفي المصطلح العلمي : هي مظاهر الرقي العلمي والفني ، والأدبي ، والاجتماعي في الحضر.

وتقول دائرة المعارف إن الحضارة هي نظام الحياة في المدن ، ويشتمل هذا النظام على الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، ووجود جهاز ينظم شؤون الحياة سواء كان هذا الجهاز المنظم دينياً ، أو سياسياً ، ويخصص نصيب من ثمار الجهود الزراعية والصناعية والتجارية له.

ويشترط بعض المفكرين الكتابة للحضارة ، ويميزون بين البداوة والحضارة بانتشار الكتابة للتفاهم بين الناس ، ووجود منهاج يهتدي به الناس في شؤون الحياة.

إن مجرد وجود نظام تسير به الحياة لا يكفي لوجود الحضارة ، فقد وجد هذا النظام في عهد الهمجية ، ويوجد مثل هذا النظام لدى

القبائل، كما وجد لدى العرب في الجاهلية، فكانوا يؤدون شعائرهم وطقوسهم المقررة، ولذلك يشترط وجود قانون مكتوب، ومناهج مقررة للحياة، ولذلك الكتابة هي الشرط الأساسي للحضارة، لأنها أساس للحركة العلمية، والنشاط العقلي، والحضارة تنمو وتزدهر لوجود سلطة حاكمة تنظم شؤون الحياة بقانون مرتب، وهي تهتم بتنمية الصلاحيات العقلية والفكرية والفنية، وتحتفظ بالتراث الفكري والثقافي للأمة أو المجموعة البشرية التي تخضع لها، وتحرص على ترقيتها.

والثقافة جزء من الحضارة، وهي تتصل بالعادات والسلوك، وطرق المعيشة، وما تنتجه العقول حسب الوضع الخاص للمنطقة أو المجموعة البشرية المعينة، تشترك فيها الأجيال المتعاقبة، وثمار العقول.

إن الحضارة التي نقصدها هي الحضارة الغربية التي نشأت في أوربا خلال النهضة الأخيرة، الحضارة التي غزت العالم الإسلامي سياسياً وفكرياً وثقافياً، خلال القرن التاسع عشر، واستعمرت معظم أنحائه إلى منتصف القرن العشرين، ولا تزال مذاهبها وفلسفاتها تسود فيها بشكل من الأشكال، رغم انحسار الاستعمار العسكري، وعندما نبحث في الحضارة يجب أن نبحث في تصور أصحاب الحضارة عن الحياة، والإنسان، والكون، وخالق هذا الإنسان، والقيم الأساسية التي تنطلق منها، وأهدافها.

**عناصر الحضارة المعاصرة**

يقول الأستاذ محمد المبارك وهو يحدد معنى الحضارة:

"يقصد بالحضارة مجموع المعارف العلمية ، والتشاريع ، والنظم ، والعادات ، والآداب ، التي تمثل الحالة الفكرية ، والاقتصادية ، والخلقية ، والسياسية ، والفنية ، وسائر مظاهر الحياة المادية ، والمعنوية في مرحلة من مراحل التاريخ ، وفي بقعة من بقاع الأرض ، سواء شملت شعباً أم أكثر.

ولكل حضارة سمات تميزها عن غيرها ، ودوافع ومحركات وأهداف معينة ، ولكن الغاية الأساسية لكل حضارة الارتفاع بالحياة ، والتحسن في المعيشة في ضوء التجارب والعلوم ، والمجهودات الفردية والجماعية.

والحضارة الصالحة هي التي تقوم على أسس صالحة ، وتسير نحو أهداف صالحة بوسائل صالحة ، تشترك فيها الجوانب المادية والروحية ، والنفسية ، والخلقية ، وأن تكون متوازنة الجوانب في صدد حقوق الفرد والجماعة ، فلا يطغى جانب على جانب.

**الحضارة الحديثة ( الغربية ) وعناصرها الأساسية :**

أولاً : ميراث الحضارة اليونانية والرومانية ، وهي ميراث تغلب عليه المادية التي كانت سمة العقل اليوناني ، والاستعمار والوثنية التي كانت سمة الرومان ، والتمتع بالملذات ، واشترك فيها عنصر الصراع مع الكنيسة في العهود المظلمة ، فتغلبت عليها بذلك الثورة على الدين والاعتماد الكامل على العلم والتجربة.

ثانياً : الجوانب المادية من الحضارة الإسلامية التي اقتبسها الغرب خلال عصر النهضة في الأندلس ، ومصر ، فنقل هنا العلوم الإسلامية ،

واقتبس مظاهر الحياة الإسلامية في كثير من مجالات الحياة.

واحتفظ الغرب خلال هذا العهد من الاقتباس العلمي من المسلمين بموقفه الحاقد، إزاء الإسلام والمسلمين، فلم يأخذ فلسفة الإسلام، والعقيدة الإسلامية، والقيم الأخلاقية، فبينما كان الغرب يقتبس علمياً كان مشغولاً سياسياً في الحروب الصليبية ضد المسلمين.

ثالثاً: المسيحية التي قبلها الغرب رغم الصراع مع الكنيسة كعقيدة تراثية للمنطقة التي تعيش فيها هذه الحضارة وهي في لاشعور جميع العلماء في الغرب.

وتوجه الحضارة المعاصرة عنايتها القصوى إلى التقدم الصناعي وارتقاء وسائل المعيشة" ([1]).

لقد ازدهرت الإنسانية في ظل الحضارة الحديثة، وارتفع مستواها في جوانب كثيرة، وسعدت الإنسانية بها، وحلت كثيراً من المشاكل التي كانت تعاني منها منذ قرون طويلة.

فقد فتحت للعقل الأبواب، وتقدم العلم تقدماً هائلاً، واخترعت وسائل تحار حولها العقول، وأضافت إلى التراث اليوناني الإسلامي إضافة هائلة، وزادت المعلومات البشرية في كل مجال من مجالات الحياة، فاستطاع الإنسان بهذه المعلومات أن يسيطر سيطرة كبيرة على جزء كبير من الطبيعة، حيثما كان اكتشاف سفينة بخارية ومراكب تجري بالبخار، والبترول اكتشافاً مدهشاً في عصر، اكتشفت الآن مراكب تزيد سرعتها عن الصوت، وتقدمت الحضارة

---

[1] الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية للأستاذ محمد المبارك.

في المواصلات، والاتصالات تقدماً مدهشاً لا يتصور، ورفعت من مستوى رفاهية الإنسان، وهيأت له وسائل الراحة، في مأكله ومشربه، ومسكنه، ووقايته، ونوّعت رغباته، وملذاته، واخترعت وسائل التسلية والترفيه، وعممت فوائدها، ويسرت تحقيقها، وهيأت فرص إمتاع النفس لعامة الناس و وسائله التي لم تكن ميسرة للأغنياء والأمراء، ولم تضع سياجاً لها، أو حدوداً لتمنع من سوء استخدامها.

رفعت الحضارة الحديثة من قوة الارتباط والوفاق، فيتمتع الفرد في المجتمع بشرف وكرامة وطمأنينة وضمانات في ظل نظم وقوانين لحقوق الإنسان، وأنشأت وكالات تراقب عليها وتنظمها، وتدرس إمكانيات رفعها، وتدين كل مخالفة لها.

رفعت الحضارة الحديثة نسبة التعليم والتربية بشعار محو الأمية، وأوجدت إمكانيات لتخريج نبغاء برفع مستوى التعليم، فوجد بذلك عدد ملحوظ من العلماء والباحثين في كل موضوع من مواضيع العلم في معظم البلدان، كما اعتنت برعاية الصحة العامة بتوفير تسهيلات للطب، ومواصلة البحث الطبي التجريبي الذي كان محدوداً في السابق، كما رفعت الحضارة المعاصرة مستوى إنتاج الطاقة واستعمالها في أغراض نفع الإنسان، واستخدمت هذه الطاقة في البحوث الطبية والزراعية، والصناعية، وازدادت بها الإنتاجية العامة.

ولا شك أنها جوانب النفع في الحضارة المعاصرة ومكاسبها وتستحق أن يشاد بها، ولكن ظهر نقص الحضارة المعاصرة في

مجالات كثيرة.

فإن الحضارة الغربية المعاصرة رغم دعواها بانفصالها عن المدرسة اليونانية القديمة لا تزال تحتفظ بكثير من الأفكار و المبادئ اليونانية القديمة، إنها احتفظت بتصور تفوق الجنس الأبيض، وحب الغلبة والاستمتاع في الحياة، والاهتمام الزائد بالتسلية والمتعة، ورغم الثورة على المذهب الأرسطي يحاول كل كاتب ومفكر أن يصل إلى أرسطو(٣٢٢_٣٨٤قم) في فكره ويجعله منطلق الأفكار الحديثة في الاجتماع والنفس، والتربية والأخلاق، وكذلك ارتباط الحضارة الغربية المعاصرة بالمسيحية ارتباط نفسي، واجتماعي، وشعوري غير منفصل رغم الدعوى بالعلمانية، والثورة على الدين، وقد ظهرت هذه الجوانب للانحياز خلال سيادة الحضارة الأوربية على العالم، فاتضح اهتمام الدول الأوربية المعاصرة بنصر الدين المسيحي في العالم، ونفقاتها الباهظة على الشبكات الإرسالية، وحرصها على تحويل مناطق شاسعة في إفريقيا وآسيا إلى المسيحية، وهي لا تزال تحمل مرارة الحروب الصليبية وتحركها عواطف الانتقام من غير المسيحيين، والتي تظهر خلال سلوكها مع الدول الإسلامية وتوجيه الضغط على الدول الإسلامية لضرب الحركات الإسلامية، ومنعها من تطبيق الشريعة، وانفعالها الزائد إذا حدث أي اعتداء على حقوق المسيحيين في بلاد المسلمين، وبهذه الاعتبارات لم تعد الحضارة الأوربية علمانية ولا علمية كاملة.

ومن المفارقات الأخرى أن الدول الأوربية التي نشأت فيها

مذاهب وأفكار لحقوق الفرد والجماعة، وحقوق الإنسان، ونزعات لمكافحة جميع أنواع الكبت والقمع، ودفع الإنسان إلى دوافعه وغرائزه، وتحقيق مآربه، تسلك سياسة القمع والكبت، والاستعباد، مع الشعوب التي تخضع لها، وتصر على فرض ثقافتها عليها، وقد استعمرت معظم أنحاء العالم التي كانت تعاني الفقر والجهل، مدة طويلة، وقامت بتغيير طبائعها، وتزوير تاريخها، ومحو خصائصها القومية، ولا تزال هذه الدول تساند النظم المستبدة التي لا تتمتع بتأييد شعوبها، فتحميها وتدعمها.

ومن المفارقات للحضارة المعاصرة، إنها رغم حبها للعلم، ونشره وحرية الرأي، وخدمة التراث العلمي والفني، تعامل علوم الأمم الأخرى، وفنونها وتراثها معاملة استعمارية حاقدة، فتقوم بالتغيير والتزوير فيها كما فعل المستشرقون، وعلماء الغرب الذين بذلوا مجهودات جبارة للقضاء على اللغات والآداب العالمية، أو للتدسيس فيها، وأرادوا فرض الخط اللاتيني وإبادة الخطوط القومية، وقطع صلة الشعوب المستضعفة عن ماضيها الحضاري، فتحققت في عهد غلبة هذه الحضارة إبادة الجنسيات، وإبادة العلوم من الآداب، واللغات في كثير من أنحاء العالم، وروجت الدول الأوربية بنشر حضارتها أسطورة تفوق الجنس الأبيض على سائر الأجناس، واتضح ذلك التمييز في كثير من مناسبات الإغاثة، والنجدة من الوكالات العالمية، وأكبر دليل حي على ذلك ممارسة سياسة التمييز العنصري في جنوب إفريقيا وروديشيا قديماً، وأمريكا أخيراً.

كل ذلك وأمثال ذلك كثيرة يدل على الازدواجية في الحضارة الأوربية أي مقاييس للداخل، ومقاييس للخارج، أو مقاييس لطبقة، ومقاييس أخرى لطبقة أخرى.

لقد ظهرت هذه الازدواجية في عهد الاستعمار وبعد انحسار الاستعمار، فقامت أوربا بالبناء من جهة، وبالهدم من جهة أخرى، وبالتحقيق والبحث من جهة، وبإبادة ثمار التحقيق والبحث من جهة أخرى، وبرفع مستوى المعيشة من جهة، وبإحداث المعاناة والمقاساة من جهة أخرى، وسياسة الاستغلال والسعي وراء النفع المادي، فقد مات ملايين من الناس في إفريقيا رغم التضخم الغذائي في أوربا، وإبادة كميات هائلة من الغذاء وإلقائها في البحر، إنها حلت مشاكل الحياة، والصراعات، وخلقت مشاكل وصراعات تسفك فيها دماء الناس.

# الفلاسفة الذين ساهموا في تكوين الحضارة المعاصرة وحددوا اتجاهاتها

١- كان من أبرز الشخصيات التي قضت على الأخلاق والقيم والدين في السياسة والسلوك الاجتماعي والفردي من بين الشخصيات المذكورة التي ساهمت فكرياً وطبعياً Niecolo Macahia Velli ( ١٥٣٢- ١٤٦٩م) من إيطاليا.

كان يشغل منصباً عالياً في الحكومة الإيطالية، وقد واجه خلال ١٣ سنة من عهده في الحكم تخلف إيطاليا بالنسبة لفرنسا وأسبانيا، وأثرت الحروب على بلاده، ثم عزل عن منصبه خلال الحرب مع فرنسا، ونفي، وفي نفيه ألف كتابه المهم الذي أثر في العقلية الأوربية الحاكمة، وحدد سياسة الطريق للوصول إلى الحكم والبقاء فيه، وذلك كتابه "الأمير"(The Prince) .

يعتبر ميكافيلي رائد السياسة المعاصرة التي تبعتها أوربا، وأنه جعل القوة والسلطة الغاية، وبرر كل وسيلة للوصول إليها بغض النظر عن الأخلاق والدين، واعتبر الانتهازية والاستغلال الطريق الكفيل بالنجاح في السياسة، فتحررت السياسة بدعوته عن القيم الخلقية، وأبيح كل نوع من الاستبداد والقهر والخداع في سبيلها، وتخضع السياسة العالمية المعاصرة لفكره.

٢- فرنسيس بيكن Francis Bacon (١٦٢٦- ١٥٦١م)

أديب فلسفي بريطاني ، صاحب فكرة المنهج التجريبي الجديد الذي انتهى به عهد الفلاسفة الإسكولية الوسطية ، وبدأ العلم الطبيعي الحديث ، فقد كان المنهج السائد هو المقياس الأرسطي الذي لا ينتج علماً جديداً ، ومذهب بيكن قائم على الملاحظة والتجربة ، وهو الذي بدأ بيان مواطن الخطأ في التفكير البشري ، ويشترط بيكن للمعرفة أن تكون ممكنة التطبيق مفيدة النتائج ، وأهم كتبه الأطلس الجديد ، ويعد رائد الفلسفة الإنجليزية كلها.

٣- ديكارت Descartes Rane (١٦٥٠- ١٥٩٦م)

فيلسوف فرنسي وعالم رياضي ، وحاول تطبيق المنهج الرياضي على الفلسفة ، ورفض الأخذ بالتقليد الإسكولي ، فأقام فلسفته على الشك المنهجي ، فشك في معارفه جميعاً جسمية كانت أو عقلية ، الاحتمال أن يكون مخدوعاً فيها ، وهو يقول : أنا أفكر إذاً أنا موجود ، وديكارت رائد العلماء الذين جاؤوا بعده ، ويسمى بأبي الفلسفة الحديثة ، وقد أثر تأثيراً كبيراً في التربية ، ويعد عهده عهد الانتقال من الفكر الأرسطي إلى التحقيق الحر.

٤- نيوتن Isaac Newton( !٧٤٣- ١٦٤٣م) عالم فيزيقي إنجليزي ، من أعظم علماء القرن الثامن عشر في الفيزيقيا ، والرياضة ، واستطاع خلال تجاربه على الضوء تحليل الضوء المعادي ، ووضع قانون الجاذبية العام وقوانين الحركة ، ويرى نيوتن أن الخالق خلق الكون كصانع الساعة الذي يركب الأجزاء ، وليس له اهتمام آخر بالكون.

٥- فرنسو فولتير Voltair(١٧٨١- ١٦٩٤) ، فيلسوف

ومفكر فرنسي، وعوقب بالسجن، فألف كتابه" أوديب" و"هنري الرابع"، فنال شهرة كبيرة، سجن مرة أخرى، ثم نفي إلى إنجلترا، دعا إلى حرية الفكر، وتأثر بأفكار نيوتن ولوك، وألف في المآسي، واهتم بالتجارب الطبيعية، والكيمياوية، وكتب رسائل إلى عظماء عصره، ودافع عن ضحايا الدين والسياسة، كتب روايات فلسفية بأسلوب ساحر، وله شهرة بأسلوبه النادر، دعا في كتبه إلى الإصلاح في السياسة والدين.

يقول عباس محمود العقاد: إن فولتير شخصية مظلومة لم تفهم أفكاره، وأنه أراد إصلاح المجتمع، وكان ضد الكنيسة، ولم يكن ضد الدين.

٦- جون لوك J, Lock (١٦٣٢- ١٧٠٤م)، فيلسوف إنجليزي، عرف بأنه نصر الحرية، وخلاصة فلسفته أن الإنسان يولد وعقله على الفطرة، ثم تجيء حياته التي تصبح الفطرة مكونة بفلسفته وفكرته، فلا يفرق بين الناس إلا بنبوغ التربية، وقد دافع لوك عن حق الأفراد في الحرية وهو يحتم أن يكون لكل إنسان الحق الكامل في إبداء آرائه حراً من كل قيد، فليس من الحكمة أن ترغم الناس عقيدة معينة، أو رأي خاص، وهو يحرم على الحكومة أن تتحيز لمذهب من المذاهب الدينية، دون آخر، وأخذ"روسو" أفكاره ووسعها.

٧- جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau (١٧١٣- ١٧٧٣م)، فيلسوف فرنسي، يرى أن الإنسان خير بطبعه، ثم تفسده الحضارة، وله تأثير في مختلف مجالات الفكر والسياسة، والأدب والتربية، ومذهبه السياسي: الإنسان طبعي لا هو بالخير ولا

هو بالشر، وإن مساواة الناس زالت بظهور الزراعة والملكية، ويرى أن الثقافة أقرب إلى الشر منها إلى الخير، وحيثما تنشأ الفلسفة تهبط الأخلاق، ويرى روسو أن يترك الطفل في التربية على مواهبه وطبائعه، ووظيفة التربية أن يعلم الطفل كيف يعيش، ويدافع روسو عن الشعور، ويرفع شأنه مقابل العقل والتفكير، وبتأثيره تحولت وجهة الأدب من العقل إلى العاطفة، كما استيقظ الشعور الديني في النفوس، ويرى روسو أن العقل إذا كان ينقض العقيدة في الله، فإن الشعور يؤيده، وبذلك تغير مجرى الفكر من الإلحاد إلى الدين.

٨- هيوم Hume(١٧١١- ١٧٧٣م) فيلسوف إنكليزي، قال: إن كل شيء في الكون وفي ذلك الإنسان سلسلة حالات متتابعة، وليس بشيء له ذاتية، ويرى التسامح في الدين والسياسة والحرية فيها، ويدعو إلى التعاقد في الدولة، تتكفل للناس حريتهم وثمار جهودهم، وإذا حادت الدولة عن مهمتها فيجب على الناس الثورة عليها، وليس حقهم بل واجب عليهم، وأخذت منه الثورة الأمريكية، ويقول هيوم: إن الدين لا يثبت عقلياً، وينكر الحياة الآخرة، ويرى أن سلوك الإنسان عمل آلي محض، وليس هناك ما يسمى بالإرادة الحرة، فإن عرفت طبيعة الإنسان أمكنك أن تتنبأ بتصرفه في كل مواقفه المقبلة، ويرى أن الدافع الأساسي لسلوك الإنسان هذه اللذة والألم وبهما يميز بين الخير والشر، وليس العقل هو الذي يوجه أعمال الإنسان، لأن العقل ملكة نظرية لا شأن لها بالعمل، وما يدفع الإنسان إلى العمل هو المشاعر والعواطف.

٩- تشارلس روبرت دارون Darwin(١٨١٩- ١٨٨٢م)،

عالم طبيعي إنجليزي، وهو القائل بالتطور، وقد وضع في كتابه " أصل الأنواع" أسس مذهبه ودلائله، ومن أعماله: أصل الإنسان والانتخاب بالنسبة للجنس، وتنوع النباتات، والحيوانات تحت الاستئناس.

١٠- إمانوئل كانت Emanuel Kant (١٧٢٤- ١٨٠٤م)

فيلسوف ألماني كبير من فلاسفة العصر، جدد ذكريات سقراط، وأفلاطون، وأرسطو، قام بنقد فلسفة لوك، والمدرسة الإنجليزية القائلة بأن القوة المدركة هو أساس سائر العلوم، وكان هيوم يرى أنه وصل إلى النتيجة الحتمية لإنكار الروح، وأثبت هذه النظرية، ولم يدع مجالاً للشك أن حواسنا هي مصدر كل علم وتحقيق، وقد عدَّ كانت هذا التطور زيفاً، وقال: ليس من الحتمي أن تدرك جميع الحقائق بالتجارب العلمية، أو بالحواس، فالحقيقة في كل حال حقيقة، أدركناها أم لم ندركها بعقولنا.

ويرى كانت أن الإنسان ليس كاللوح الصافي يكتب عليه حواس الإنسان أو علمه ما يشاء، بل الحواس والعلوم وسيلة من الوسائل، وتنظمها تجارب مختلفة.

ويرى كانت أن الإنسان لم يرسل إلى الأرض كوسيلة لغرض معين، بل هو المقصود بالذات، ولذلك هو أشرف المخلوقات.

ويرى كانت أن أساس الذات هو اليقين ولا الدليل، ومفتاح العلوم الباطنية هو التجربة الباطنية، وليس التجربة العقلية، وقد تأثر بهذه النظرية الشاعر محمد "إقبال"، وقد سبق إلى هذه النظرية عدد من فلاسفة المسلمين كالإمام السرهندي، يقول سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي:

"من عجيب المصادفة وتوارد الخاطر أن الفيلسوف الألماني الشهير إمانوئيل كانت بدأ - بعد قرابة قرنين من وفاة الإمام السرهندي - البحث الموضوعي والتحقيق العلمي في صلاحية العقل لتجرده، وتحرره، عن البيئة وعوامل الوراثة، والعادات والمعتقدات والحكم الفاصل في قضية من القضايا، إنه عيّن حدود العقل ودوائره في شجاعة ووضوح، ونشر كتابه "نقد العقل الخالص" "Critique of Pure Reason" . عام ١٧٨١م، الذي أحدث هزة واضطراباً في الأوساط الفكرية، والفلسفية، وكما يقول الدكتور إقبال: " إنه هدم أعمال المتنورين وحوّلها إلى كومة من تراب".([١])

ويرى كانت من الواجب علينا البحث في عقلنا، وإدراكنا، وماهية علمنا و نوعيته، وقد أثار كانت شكوكاً كثيرة في تجرد العقل وتخلصه، وقرر أن صفاءه وعدم اختلاطه وتحرره من التأثيرات الخارجية والداخلية شبه مستحيل.

وعلى هذا الأسس تناول الشيخ السرهندي الكشف والإلهام، وقال: إن الكشف الخالص والإلهام الخالص صعب المنال، ويندر أن يحصل عليهما، وشرح أن الإشراق وصفاء النفس ليسا كفيلين بالوصول إلى الحقائق الغيبية إلا عن طريق الأنبياء ورسالتهم.

١١ـ شوفين هاور (Shopen Haver)(١٧٨٨- ١٨٦٠م)، تأثر شوفين هاور من "كانت" أولاً، لكنه مال إلى التشاؤم، وخيبة الشعور واليأس، لأنه عاش في ألمانيا التي كانت في حالة اضطراب

---

[١] رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ص: ٣/ ١٩٨- ١٩٥، دار الرشيد، لكناؤ، الهند، ٢٠٠٤م.

وقلق للحروب الدامية ، وتعرضت فرنسا لهزيمة واترلو في ١٨ /يوليو ١٨١٥م ، وبه انتهت سلسلة الحروب بعد أن دمي جسم أوربا بهذه الحروب ، وقتل مآت الألوف من الناس ، وأصيبت الأراضي الواسعة بالخراب والدمار ، وتحولت قرى فرنسا و آستريا إلى قاذورات ، وعم الإفلاس للحروب التي شنها نابليون ، وتهدمت موسكو ، وبينما لجأ في هذه الأحوال بعض الناس لتسلية نفوسهم إلى الدين ، انحرف شوفين هاور عن الدين والخالق ، واعتقد انه لا رب لهذه الدنيا ، ولا راعي لها ، أو أنه فقد السيطرة عليها ، وكان لهذا اليأس الذي أصيب به شوفين هاور سبب آخر ، وهو الظروف العائلية التي عاش فيها ، فقد انتحر والده الذي كان تاجراً كبيراً ، ويرى شوفين هاور أن الإنسان يرث طبيعته وجبلته من والده ، وفهمه وإدراكه من أمه ، وكانت والدة شوفين هاور كاتبة قصة معروفة ، وكانت أديبة شاعرة ، وكان زوجها تاجراً غير شاعر ، ومتحرراً ، وبعد وفاة زوجها عاشت حياة خلاعة ، ولم يعجب ذلك شوفين هاور ، وقد عرف شوفين هاور بكراهية المرأة وهو يعتبرها وسيلة لإشباع هوى المرء ، ولذلك تبدو جميلة وإلا فإنها غير جميلة.

وكتابه "العالم الإرادة والفكر The World as Will and Idea ، ويجد شوفين هاور اللذة في الموسيقي ، والشعر ، والغناء ، ويعتبر شوفين هارو ممهداً لفلسفة فرويد.

١٢- فرويد ١٨٥٦- ١٩٣٩م ، Sigmund Freud ، طبيب نمساوي ، مؤسس مدرسة التحليل النفسي ، فكان يرى أن الأمراض العقلية تتسبب من صدمات مكبوتة وصراعات نفسية لا شعورية

ترجع إلى الطفولة، وأثارت نظريته في تطور الغريزة الجنسية منذ الطفولة الأولى.

من مؤلفاته "تفسير الأحلام"، "الذات والغرائز والقلق"، وحاول فرويد تطبيق نظريته في تفسير نشأة المجتمع والدين والحضارة وتطورها، وكان لنظريته أعمق الأثر في الدراسات النفسية والاجتماعية، وفي التربية، والفن، والأدب، ويميل فرويد إلى التشاؤم.

١٣- سارتر Sartre Pal Gen ١٩٠٥(- ١٩٨٠م)، فيلسوف وأديب فرنسي، اقترنت الفلسفة الوجودية باسمه، أنشأ مجلة "العصور الحديثة" التي تتضمن أبحاثاً وجودية في الأدب، أهم مؤلفاته "الوجود والعدم"، ومن رواياته الغيثان، ومن مسرحياته: الفاضلة، وموتى بلا دفن، والذباب.

والوجودية مذهب فلسفي أدبي، معاند للدين، وأساسه مذهب ديكارت، ويعتبر الوجوديون الإله خرافة، كما آمن الوجوديون بما ذهب إليه نيتشة[1] من أن الأخلاق ليست إلا خرافات، اخترعها الضعفاء ليتقوا بها سطوة الأقوياء في معركة الحياة.

وترى الوجودية بعد ثورتها على الدين والأخلاق، أن هدف الإنسان وغايته يتمثلان في تحقيق الوجود ذاته، ويتم ذلك بممارسة الحياة الفردية بحرية مطلقة، ثم التضامن مع أفراد البشر لأن حياته

---

[1] نيتشة: فيلسوف ألماني هاجم الأخلاق، ورأى أنها يعادي العباقرة المتفوقين، وتناصر الضعفاء، من أهم مؤلفاته: مولد التراجيديا، وهكذا تكلم زرادشت، وقد تم نقله إلى العربية، توفي ١٩٠٠م ..

مرتبطة بحياتهم.

وعلى هذا الأساس أصبح على الوجودي أن يصدر حكماً صريحاً على كل حادثة، وأن يكون حكمه حراً صادراً عن تقديره الشخصي غير مستند إلى أي قيمة سابقة، والوجودية أشد الأفكار والمذاهب الغربية عداوة للأديان والأخلاق، وكان لها تأثير ساحق على عقول المثقفين بالثقافة الغربية، كما كان لها تأثير على الأدب والفن، وهي مذهب هدام، لأنه يسوق إلى الإباحية، ويفتح باب المحرمات.

١٤- ماركس Karl Marx ١٨١٨- ١٨٨٣م، فيلسوف سياسي ألماني، وخبير اقتصادي، ولد في أسرة يهودية، عاش مع هيجل، فأصدر كتاب" المنشور الشيوعي" في ١٨٤٨م Communism Mani Festo، ثم شرحه في كتابه في ثلاثة مجلدات، باسم رأس المال Dos Capital، وهو فيلسوف الشيوعية، والماركسية مأخوذة من مادية فيورباخ وجدلية هيجل، أقام ماركس فلسفته على المادية والجدلية، وقد سادت هذه الفكرة على العقول، وخاصة بعد انقلاب روسيا، وقيام الحكومة الشيوعية بقيادة لينن في عام ١٩١٧م، ثم انتقل هذا المذهب إلى البلاد الإسلامية، وصار ماركس مقدساً لدى الماديين، الذين اختاروا الاشتراكية ديناً لهم، واعتبر ماركس الدين أفيون الشعوب، وهو ألدُّ أعداء الدين.



# الفصل الثالث

## غزو العالم الإسلامي

## وسائله

## التغريب

## الاستعمار

## الاستشراق

## التبشير



# تغريب المسلمين

ترجع فكرة غزو المسلمين علمياً إلى القرن الثالث عشر بعد الهزيمة التي لقيها لويس التاسع في مصر وتونس، واتخذت الصبغة العملية بعد هزيمة القسطنطينية، وتحولت الحركة العلمية التي نشأت في إيطاليا وفرنسا إلى غزو المسلمين علمياً وفكرياً، ونشطت هذه الحركة في القرن السابع عشر عند ما أنجبت المدارس التبشيرية علماء باحثين، وبدأت آثار هذا الغزو تلمس في القرن الثامن عشر بفتح مدارس في العالم الإسلامي.

قرر البابا في عام ١٨٢١م غزو العالم الإسلامي علمياً وفكرياً، وأصدر أوامره بالتوجه إليه، وجعل التعليم وسيلة للتبشير، وبدأت حركة تنصير المسلمين، وكانت هذه الفترة فترة اضطراب، وقلاقل بالنسبة للكنيسة، فكان هذا الغزو الفكري وسيلة لصرف الاهتمام عن القضايا المحلية التي كانت تواجهها الكنيسة، كما كانت الحروب الصليبية التي شنها البابا في القرن الحادي عشر للميلاد، وسيلة لصرف الاهتمام وتحويل تذمر الناس بالكنيسة.

**الغزو الثقافي**

كان من أهم الوسائل التي لجأ إليها الغرب، الغزو الثقافي بشتى ألوانه لتمهيد الغزو المسلح، وزعزعة عقائد غير المسيحيين، وإغرائهم

بالحضارة الغربية ، ليغيروا من عاداتهم ، وسلوكهم في الحياة ، ويتنكروا لما ورثوه عن آبائهم وأسلافهم ، فعمل على نشر لغته وثقافته ، وأحياناً فرضها فرضاً في المدارس ومعاهد التعليم المختلفة التي فتحها لكي ينسى هؤلاء الطلبة المسلمون الذين يدرسون فيها آباءهم وأجدادهم ، ولا يجدوا وسيلة لغذاء عقولهم وتخاطبهم فيما بينهم ودراستهم إلا اللغة الغربية ، وبذلك يفقدون أهم مقومات شخصياتهم ، ويقوم إلى حد كبير اطلاعهم على ما يدسه لهم من سموم فكرية ، ويخلب عقولهم بلألاء ثقافته ، وحضارته ، ويجذبهم إليه جذباً شديداً بهذه الوسائل ، ومن ثم يجد منهم عضداً لمشروعاته الاستعمارية ، أو يدمجهم في دولته إدماجاً تاماً.

**التهجم على الدين**

ومن أشنع الوسائل التي لجأ إليها الغرب ، التهجم على ديانتهم ، وتشكيكهم في عقائدهم ، والتبشير بدينه ليكون خضوعهم له تاماً صادراً عن عقيدته ، و لينسوا ماضيهم الحضاري والثقافي ، فلا تقوم لهم قائمة تناوئه ، أو تحاول طرده من ديارهم.

**الاستعمار والتغريب**

والمستعمرون سواء في هذا الغزو الثقافي ، فقد فعلت ذلك فرنسا في البلاد الإفريقية ، التي اغتصبتها في القرن التاسع عشر كالجزائر ، ومالي ، والسنغال ، وغيرها ، وحاولت ذلك في كثير من البلاد الآسيوية ، وفي أقربها إلينا سوريا ، ولبنان ، ولولا حيوية بعض الشعوب لتمكنت من إتمام كيدتها الاستعمارية ، وإن نجحت في بلاد

الجزائر، حين حاربت اللغة العربية، وأنست كثيرين من أبنائها لغتهم.

وفعلت ذلك إنجلترا في مصر، وفرضت لغتها في مدارسها، وتعلم بها كل مواد الدراسة.

وفعلت ذلك بالهند، ونجحت إلى حد ما في جعل اللغة الإنجليزية لغة الثقافة والتخاطب بين أبنائها، وقد كان نتيجة لتعدد اللغات المحلية بالهند.

وقام الاستعمار بتشجيع التبشير بالدين المسيحي، وفسح المجال أمام المبشرين وإعطائهم كثيراً من الامتيازات لممارسة نشاطهم في التهجم على العقائد المحلية.

**التغريب في الشام**

كان إبراهيم باشا أول من سمح للإرساليات والبعثات الأجنبية بالعمل في الشام، وسمح لطائفة "جزويت" الفرنسية بالعودة إلى البلاد عام ١٨٢١م، فبادرت إلى إنشاء المدارس وظلت تواصل جهودها حتى تمَّ لها إنشاء جامعة "سنت جوزيف" في بنيروت عام ١٨٧٥م، وأنشأت المطبعة عام ١٨٢٤م، وبحلول عام ١٨٦٠م بلغ عدد مدارسها ثلاثة وثلاثين مدرسة، يؤمها ألف تلميذ، وفي عام ١٨٦٦ أنشئت الكلية السورية البروتستانتية التي تسمت فيما بعد بالجامعة الأمريكية ببيروت.

و يعلم الدعاة إلى النصرانية لغات المسلمين المختلفة والآداب الفارسية، والتركية، والعربية، وأتقن بعضهم اللهجات الإقليمية، للاختلاط بالمسلمين، ولما قامت حكومات للدول الغربية نالت هذه

الجمعيات تشجيعاً وتأييداً رسمياً، وسلكت هذه الحكومات موقف الإكراه والضغط.

**تغيير الذهن المسلم بالتعليم**

لقد كانت أوربا المدرسة الأولى، وكانت التجربة الأولى إرسال طلبة مسلمين إلى المدارس الأوربية، ولكنها لم تكن مجدية كلياً، ففكر المبشرون في فتح مدارس في البلاد الإسلامية ليتعلم فيها عدد أكبر، ويرجع هذا التفكير إلى دانيال بلس Danial Bils، والدكتور وليم طومسون William Tomson اللذان بحثا في عام ١٨٦١م- ١٨٦٢م، فتح مدارس في البلاد الإسلامية، لإعداد مبشرين ووعاظ من المسلمين أنفسهم، والتأثير على ذهن ألوف منهم في وقت واحد، وكان إصرارهم على أن يكون جميع المدرسين مبشرين، وفتحت هذه المدارس في اسطنبول، وسوريا، ومصر، ولبنان، والعراق، وكان الإقبال عليها عظيماً، وكان اهتمام المبشرين بالأسر العالية أكبر، لأن القادة يخرجون من هذه الأسر، وتقدر ضخامة هذا العمل بأنه قد بلغ عدد المؤسسات التبشيرية في سوريا وحدها في عام ١٩١٢م ثمانية وثلاثين مؤسسة تبشيرية لها مدارس، وكان لأمريكا وحدها ١٧٤ مدرسة في سوريا.

ويتضح من التصريح الآتي اهتمام قادة الغرب بتغيير ذهن الشباب المسلم بالتعليم ودور المبشرين في تحقيق هذا الهدف.

يقول صمويل زويمر Samuel Zwemire (١٨٦١- ١٩٠٢م) أمريكي الجنسية في تقرير قدمه في مؤتمر المبشرين سنة ١٩١٤م:

"في كل حقل من حقول العمل يجب أن يكون العمل موجهاً

نحو النشء الصغير من المسلمين، وموزعاً فيما بينهم ليحيط بهم، وليكونوا منه على صلة مباشرة، ويجب أن يقدم هذا على كل عمل سواه في الأقطار الإسلامية، فإن تنور روح الإسلام في الناشيء الحديث يبتدئ باكراً من عمره، فيجب والحالة هذه أن يولى بالنشء الصغير من المسلمين قبل أن يتكامل نمو عقليتهم وأخلاقهم".

ويوضح مهمته في تقرير آخر قدمه في مؤتمر المبشرين عام ١٩٣٥م:

"إن مهمتكم ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في ذلك هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، والتالي لا صلة له تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها".

يقول المستر تاكلي (Takle):

"يجب أن نشجع على إنشاء المدارس، وأن نشجع على الأخص التعليم الغربي، إن كثيرين من المسلمين قد زعزع اعتقادهم حين تعلموا اللغة الإنجليزية، إن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس أمراً صعباً جداً"([1]).

ويقول لويس ماسينيون Massignon:

" إن الطلاب الشرقيين الذين يأتون إلى فرنسا يجب أن يلونوا بالمدنية المسيحية".

وتقول المبشرة اناميليغان (Anna Milligan) وهي تشير إلى

---

[1] التبشير والاستعمار في البلاد العربية، للدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ، ص: ٨٨، بيروت ١٩٦٤م

أهمية تعليم البنات المسلمات من أسر عائلية :

"ليست ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة ، إن المدرسة أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير الدين المسيحي ، هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون قادة أوطانهم".

ويقول هاملتون جب Gibbعن نتائج التعليم :

"هذه المدارس صاغت أخلاق التلاميذ ، وكونت أذواقهم ، والأهم أنها علمتهم اللغات الأوربية التي جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوربي في سبيل حياتهم مستعدين للتأثر بالمؤثرات التي فعلت فعلها أيام الطفولة".

ويقول جب :

"لقد استطاع نشاطنا التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية و الصحافة أن يترك في المسلمين ، ولو من غير وعي منهم ، أثراً يجعلهم من مظهرهم العام اللادينيين إلى حد كبير" ([1]).

وتحولت هذه المحاولات إلى مصادر الإسلام علناً في السنوات الأخيرة ، فتجرأ غلادستون Gladstone ، فقال في المجلس البريطاني ومعه المصحف الشريف :

"إننا لا نستطيع أن نحكم المسلمين مادام هذا الكتاب باقياً في الأرض".([2])

---

[1] - وجهة الإسلام Wither Islam نقلاً عن كتاب" الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية" الشيخ أبي الحسن الندوي، ص:١٧٧.

١ - القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان ، أحمد عمران ، (ص : ١٧) ، دارالنفائس ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥.

قال كرومر Cromer (١٨٤١ - ١٩١٧م) وكان مندوب إنجلترا في مصر:

"جئت لأمحو ثلاثة، القرآن، والكعبة، والأزهر".

ويقول الدكتور زويمر زعيم المبشرين في الشرق:

"إن السياسة الاستعمارية لما قضت من نصف قرن أي منذ عام ١٨٨٣م تقريباً على برامج التعليم في المدارس الابتدائية أخرجت منها القرآن، ثم تاريخ الإسلام، وبذلك أخرجت ناشئة مضطربة مادية الأغراض لا يؤمن بعقيدته، ولا تعرف حقاً، ولا للدين كرامة ولا للوطن حرية".

وفي نفس المعنى يقول الدكتور واطسن:

"إننا نراقب مسير القرآن في المدارس الإسلامية، ونجد فيها الخطر الداهم، وذلك أن القرآن وتاريخ الإسلام هما الخطران العظيمان اللذان تخشاهما سياسة التبشير".

وشكى أحد علماء الجزائر أن الإذن بتدريس علوم الدين مقيد بأن المدرس لا يفسر آية أو حديثاً يدل على الجهاد، وأن لا يدرس شيئاً من أبواب الجهاد في كتب الفقه، ولما راجت دعاية هؤلاء في الشرق صار المسلمون يتنفرون من لفظ الجهاد.

**عملية التشكيك**

وأدرك هؤلاء القادة الغربيون أنه لا سبيل إلى تحقيق هذه الأهداف إلا بقطع الحبل الذي يربط المسلمين بهذه المصادر، وهو الشعور بالقدسية، والأصالة، فعملوا على تحقيق هذا الهدف بطرق

مختلفة، منها محاربة اللغة العربية الفصحى، والتشكيك في نقل هذه المصادر، وإثارة قضايا علمية تاريخية فيها، والهجوم على ذات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام، والهجوم على التاريخ الإسلامي وأمجاده.

وأصدرت المطابع في الدول الغربية بحوثاً ومقالات علمية بدعوى الدراسة الموضوعية في القرآن والحديث النبوي الشريف، والتاريخ الإسلامي، والدعوة الإسلامية، وحياة المسلمين، والحضارة الإسلامية ما ينفر القلوب منها، ويثير الشكوك في الأذهان، وأدرجت هذه البحوث في الدراسات، ليس في الجامعات الأوربية وحدها، بل في المدارس في البلدان الإسلامية.

**الدعوة إلى النصرانية**

وبالإضافة إلى التبشير أو التغريب باستخدام وسيلة التعليم والتربية التي بدأ الغرب يستغلها من القرن الثامن عشر، قبل أن استتب له الحكم في البلدان الإسلامية كالهند، والبلاد العربية، والدول الإفريقية، ذات الأغلبية الإسلامية، استخدم الغرب وسيلة الدعوة إلى النصرانية عن طريق المناقشات العلمية والدعوة الشفهية، فقد كان يرافق التجار الأوربيين والرحالة والشعراء مبشرون، ويدل التاريخ على أن عدداً من المبشرين وصلوا إلى سواحل الهند، ثم دخلوا الهند، في القرن السادس عشر للميلاد، مع قوافل البرتغاليين، كذلك كان المبشرون نشيطين في الدول العربية في عهد الخلافة العثمانية في ستار الامتيازات الخاصة التي منحت للدول الأوربية من أجل حماية

المسيحيين في البلاد الإسلامية، وقد استولى هؤلاء المبشرون على مجالات البحث العلمي في اللغة والأدب والعلوم الإسلامية، وأصدروا بحوثهم فيها، وكانوا يشترون الكتب الإسلامية بأغلى ثمن، ويقومون بنقل الثروة العلمية إلى البلدان الأوربية.

**الاستعمار الغربي**

وجد هذا الغزو الفكري مساندة فعالة من الاستعمار الغربي الذي استولى على جميع البلدان الإسلامية، فأغلق المستعمرون المدارس الإسلامية، وأطلقوا الحريات لنقد الدين، والعلماء الصالحين، وتشويه سمعتهم، ولنقد كتب التراث الإسلامي وتحريفها وتضليل الرأي عن الإسلام والمسلمين، وكانت الجامعات الرسمية ومراكز البحوث الرسمية أوكار هذه العملية لهدم الدين، وفي الجانب الآخر أرسل الغرب أفواج المبشرين لغزو العالم الإسلامي دينياً.

قامت الحكومات المحلية بعد عهد الاستقلال وتنفس المسلمون برهة من الزمن، لكن عادت الأوضاع بإيعاز الغرب، ودبرت مؤامرات لتشويه سمعة المصلحين، وتورطهم في قضايا لا صلة لهم بها، لوقف حركة إصلاح الأوضاع، ولكن هذه الإجراءات لم تستطع أن توقف الاتجاه إلى استعادة الذات الإسلامية، ففكرت أوربا في سد منابع الفكر الإسلامي ومراكز الوعي الديني، فأصدرت أوامرها إلى الدول التي تخضع لها لسد هذا المنفذ، ولكن هذه التجربة تجربة قديمة وستفشل كما فشلت التجربة الاستعمارية المكشوفة.

# الاستشراق

## ORIENTALISM

**تعريفه وبدايته وتطوراته :**

الاستشراق تعبير يُستخدم للحركة العلمية التي بدأت في الغرب المسيحي لدراسة العلوم الشرقية أو العربية بصفة خاصة للأغراض الدينية ، والسياسية ، ويرجع تاريخه لدى أكثر الباحثين إلى القرن السابع للهجرة ، وإن كانت الجهود الشخصية لدراسة العلوم الشرقية قد بدأت قبل قرون ، لكنها كانت مجهودات شخصية ، وبذلت هذه الجهود في عصور مختلفة ، ولكن المجهود الشخصي المعروف هو المجهود الذي قام به جربرت دي اورلياك Gerbert D Aurillac (٩٣٨ – ١٠٠٣م) ويعتبر لذلك أول مستشرق ، وكان راهباً ، وتولى منصب البابا لكنيسة روما ، وعرف بسلفستر الثاني ، و يعتبره الدكتور مصطفى السباعي أول غربي عني بالدراسات الشرقية.

وكذلك الدكتور محمد ياسين عريبي ، فيؤكد أن الاستشراق العقلي بدأ برحلة جربرت دي أورلياك من فرنسا عام ٩٦٧م إلى قرطبة طلباً للحكمة في عهد الحكم العثماني.

والمستشرق الثاني الذي يراه بعض المؤرخين أنه أول مستشرق هو بطرس المحترم ، وذلك لأنه أول من أشرف على ترجمة القرآن

الكريم، وذلك في عام ١١٤٣م، ويرى عدد من علماء الغرب أن هذا هو المجهود العلمي الأول في أوربا.

وظهر في القرن نفسه أول قاموس لاتيني عربي.

هذه هي المجهودات الشخصية، ولكن الاستشراق كحركة علمية ذات أهداف معينة، وهي التوغل العلمي في العلوم الإسلامية، واستخدام هذه المعرفة لتشويه العقيدة، والفكر، بدأ في عهد الحروب الصليبية (١٠٩٧- ١٢٩٥م)، لكن هذه الفكرة ظلت محصورة ومحدودة، انطلقت بعد تبني الكنيسة له، وبهذا المعنى كان انطلاق هذه الحركة في القرن الثالث عشر الميلادي.

**كيف نشأت فكرة التبشير**

كان ذهن العلماء الغربيين قد تكون في القرن الثالث عشر للميلاد أن غزو المسلمين عسكرياً حلم لا يتحقق، وقد أشار إليه لويس التاسع ملك فرنسا الذي اعترف بخيبة أمله لما أسر في المنصورة في عام ١٢٥٠م، ثم خابت مساعيه لغزو تونس، فمات في الطريق في عام ١٢٧٠م، فأوصى أن يلجأ الغرب إلى حرب العلم، لأن حرب السيف لم تنفع أوربا، وفي عام ١٢٩٤م التقى بعض رجال الكنيسة بالبابا، وقدموا إليه خطتين، إحداهما أن تتخذ الكنيسة العلم والمدارس كوسيلة للتبشير، وثانيهما: أن يُنَصَّر المسلمون بالقوة إن لم تنجح فيهم الجهود السلمية، وكانت هذه بداية التفكير في هذا الصدد.

ويقول الدكتور محمد حمدي زقزوق عن الاستشراق: إنه يرجع إلى الاقتناع بضرورة تعلم لغات المسلمين، إذا أريد لمحاولات

تنصير المسلمين أن تؤتي ثمارها بنجاح، ومن بين من يتبنى هذا الرأي الذي فرض نفسه بالتدرج، روجرز بيكون، وراموند لل، وقد صادق مجمع فيينا الكنسي في عام ١٣١٢م على أفكار بيكون، ولل، بشأن تعلم اللغات الإسلامية واللغة العربية على وجه الخصوص، وقد تم تنفيذ ذلك في جامعات باريس، وأوكسفورد، وسلمنكا.

وأصدر بابا الفاتيكان الخامس أمره في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، بإنشاء كراسي للغات العربية والعبرية، والكلدانية في عدد من الجامعات الرئيسية في أوربا.

وفي القرن السادس عشر تطور هذا العلم، وساندت البابوية الرومانية دراسة لغات الشرق من أجل مصلحة التبشير، ولذا يرى كثير من الباحثين أن الاستشراق لون من ألوان التبشير، والغزو الفكري، ويعود إلى أسباب دينية.

وتصعد هذا الاتجاه بعد سقوط القسطنطينية في القرن الخامس عشر، ونالت العبرانية والعربية اهتمام الدارسين في أوربا، وحوّلت رومية عدداً من هؤلاء العلماء إلى بلاد الشرق للتبشير، وأنشئت جمعيات تبشيرية لإعداد المبشرين الذين يتقنون اللغات الشرقية، ويدرسون الكتب الدينية ليلتقطوا مواضع الطعن من المعتقدات، وأنشئت في الفاتيكان مكتبة تضم الكتب حول الديانات الشرقية، وكان ذلك بداية الاستشراق.

يقول جرجي زيدان Jurji Zaydan (١٨٦١م- ١٩١٤م) وهو يؤرخ نشأة حركة العلم في إيطاليا بعد فتح القسطنطينية وانتشار

المعلمين فيها إلى أوربا كلها :

"كانت رومية مشتغلة في ذلك الحين بإخراج المبشرين إلى المشرق ، فاضطروا إلى تعلم اللغة العربية ، ومن هنا يبدأ الاستشراق في رومية والفاتيكان ، و قد بدأت رومية عملها بإنشاء المطابع العربية ، وجمع كتب الشرق وحفظها في مكتبة الفاتيكان وغيرها".

ويقول : "اقتدى الفرنسيون بالإيطاليين فاستقدم فرانسو الأول الأسقف جويستنياني من جنيوا لتعليم اللغتين العبرانية والعربية في سنة ١٥١٩م ، وعملوا مثل عملهم من إنشاء المطابع العربية ، وقلدتها سائر دول أوربا ، وبعد أن كان الاستشراق خاضعاً لرجال الدين ، يراد به التبشير ، أصبح علماً قائماً بنفسه يراد به درس اللغات الشرقية وآدابها.

يقول الدكتور علي جريشه : "بدأ الاستشراق في الأندلس في القرن السابع الهجري حين اشتدت حملة الصليبيين الأسبان على المسلمين ، فدعا الفونس فشتاله" وميشيل سكوت ليقوم بالبحث في علوم المسلمين ، وحضارتهم ، فجمع سكوت طائفة من الرهبان بالقرب من مدينة طليطلة ، وشرعوا في ترجمة بعض الكتب من العربية إلى اللغات الأخرى ، ثم قدمها سكوت Scott إلى ملك صقلية الذي أمر باستنساخ نسخ منها ، ثم بعث بها هدية إلى جامعة باريس ، وكذلك قام رئيس أساقفة طليطلة ريموند لل بنشاط كبير في الترجمة ، ومع الزمن توسع الأوربيون في النقل والترجمة من مختلف العلوم والفنون ، وبعد اختراع الطباعة أنشئت في أوربا مطابع عربية لطبع عدد من الكتب

التي كانت تدرس آنذاك في المدارس والجامعات الأوربية.

ويقول أحمد حسن الزيات : في سنة ١١٣٠م أنشئت في طليطلة مدرسة للترجمة تولاها الأسقف ريموند Raimond أخذت تنقل جلائل الأسفار العربية إلى اللاتينية ، وأعانهم على ذلك اليهود ، ولقيت هذه الترجمة في أوربا الخامدة شعوراً وطنياً وروحاً طيبة ، واستمرت هذه العملية طوال القرون الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر حتى بلغ ما ترجموه ثلاثمائة كتاب أحصاه الدكتور كلارك Clark في كتابه تاريخ الطب العربي ، وأحصاها غيره أربعمائة ، وكان أكثر ما ترجم كتب الرازي ، والزهراوي ، وابن رشد ، وابن سينا ، وما نقل إلى العربية من اليونانية لجالينوس ، وسقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو ، ظلت هذه الكتب منهاجاً للتعليم في جامعات أوربا ، خمسة قرون أو ستة قرون حتى القرن التاسع عشر.

وقال المؤرخ الإنجليزي "ملر" في كتابه "فلسفة التاريخ" أن مدارس العرب في أسبانيا كانت هي مصادر العلوم ، وكان ممن درس في أسبانيا الراهب جربرت الفرنسي الذي ارتقى إلى منصب البابوية باسم سلفستر الثاني.

أنشئت عدد من كراسي اللغة العربية في المدارس الأوربية في عام ١٣١١م ، وعم استخدام تعبير الاستشراق Orientalism في أوربا لدى نهاية القرن الثامن عشر ، ظهر أولاً في إنجلترا عام ١٧٧٩م ، وفرنسا ١٧٩٩م ، و أدرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م .

**أوائل المستشرقين :**

قصد جربرت دي أورليك Jerbert d Aurillac ( ٩٣٨- ١٠٠٣م) من الرهبانية إلى الأندلس، قرأ على أساتذتها، ثم انتخب بعد عودته حبراً أعظم باسم سلفستر الثاني (٩٩٩- ١٠٠٣م).

وفي عام ١١٣٠م قام راموند لل رئيس أساقفة طليطلة بترجم بعض الكتب الإسلامية.

قصد جيرا دو دي كريمون Gheradode Cremon (١١١٤- ١١٨٧م) الإيطالي إلى طليطلة، وترجم حوالي ٧٨ مصنفاً في الفلسفة والطب والفلك.

بطرس المكرم(١٠٩٤- ١١٥٦م) الفرنسي الراهب شكل جماعة من المترجمين لدراسة الإسلام، وهو أول من نظم ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية، قام بها روبرت اوف كيتون Robert of Ketton.

نقل يوحنا الاشبيلي اليهودي المتنصر Juna Servella إلى العربية أربعة كتب لأبي معشر البلخي.

تلقى روجر بيكون( ١٢١- ١٢٩٤م) Rojer Bacon الإنجليزي العلوم في أوكسفورد وباريس، ونال الدكتوراه في اللاهوت، وترجم عن العربية كتاب مرآة الكيمياء.

كانت هذه هي الجهود الرائدة لدراسة العلوم الإسلامية.

**أقسام المستشرقين :**

ينقسم المجهود الاستشراقي إلى أقسام عديدة، مجهود علمي

خالص، مجهود ديني خالص، مجهود سياسي خالص، مجهود تجاري، وقد بدأ المجهود العلمي الخالص في القرن العاشر للميلاد، وتمسك به عدد من الباحثين الذين لم يكونوا حاقدين، وإنما كانوا موضوعيين، وبعد انضمام الكنيسة إلى هذا العمل وتبنيها له تحول هذا المجهود إلى مجهود تبشيري سلبي، ثم دخلت أغراض أخرى ومن المستشرقين من هو منصف يتوقف عند حد بحثه، ومتعصب حاقد يخضع لحقده.

**المستشرقون المنصفون :**

هارديان ريلاند المتوفى ١٧١٩م Hardian Ronald أستاذ اللغات الشرقية في هولندة، ألف كتاب الديانة المحمدية باللاتينية عام ١٧٠٥م، ولكن الكنيسة فرضت الحظر على تداولها.

يوهان رايسكه Reiske (١٧١ - ١٧٧٤م) أول مستشرق ألماني اتخذ موقفاً إيجابياً من الإسلام فاتهم بالزندقة.

سلفستر ديساسي Silvestre de Sacy (١٧٥٧ - ١٨٣٨م) اهتم بالأدب والنحو، جعل باريس مركزاً للدراسات الإسلامية، اتصل به رفاعة الطهطاوي

توماس آرنلد Thomas Arnild (١٨٦٤ - ١٩٣٠م)، إنجليزي معروف بكتابه "الدعوة إلى الإسلام"، ونقل كتابه إلى لغات المسلمين.

غوستان لوبون(١٨٤١ـ ١٩٣١م) Gustave Le Bon : اعترف بفضل الحضارة الإسلامية، وهو فيلسوف مادي لا يؤمن بالأديان.

زيجريد هونكه(١٩١٣_ ١٩٩٩م) Sigrid Hunke : اتصفت كتاباتها بالإنصاف، واعتراف تأثير الحضارة العربية على الغرب، في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب".

جاك بيرك، أناماري كل، كارلائل: رينيه جينو، والدكتور جرينية، وجوته الألماني.

**المتعصبون الحاقدون :**

١. جولد زيهر Goldziher( ١٨٥ - ١٩٢٠م) مجرد يهودي متعصب، من كتبه "تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي، ويعتبر زعيم الإسلاميات في أوربا.
٢. جون ماينارد Maynard أمريكي متعصب، من محرري مجلة الدراسات الإسلامية.
٣. س م زويمر S.M.Zweimer مستشرق مبشر، مؤسس مجلة "العالم الإسلامي" الأمريكية التبشيرية، وله كتاب"الإسلام تحد للعقيدة" صدر سنة(١٩٠٨م).
٤. غ فون غرونباوم G. Von Grunbaun : ألماني يهودي، له كتاب "الأعياد المحمدية"، و"دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية" صدر عام ١٩٥٤م.
٥. أ.ج. فينسيك Wensink : عدو للإسلام، له كتاب "عقيدة الإسلام" .
٦. كينيت كراج K.Cragg : أمريكي متعصب، له كتاب "دعوة المئذنة" صدر سنة ١٩٥٦م..

٧. لوي ما سينيون L. Massignon. فرنسي مبشر، له كتاب"الحلاج الصوفي الشهيد في الإسلام"صدر عام ١٩٢٢م.

٨. د. ب. ماكدونالد D.B.Macdonald : أمريكي متعصب مبشر، له كتاب "تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية"صدر عام ١٩٣٠م.

٩. مايلز جرين M. Green : سكرتير تحرير مجلة "الشرق الأوسط" .

١٠. أ.ج. أربري : A.J.Arberry : إنجليزي متعصب ضد الإسلام، من كتبه" الإسلام اليوم" صدر عام ١٩٤٣م، وله كتاب" التصوف" صدر عام١٩٥٠ م.

١١. بارون كارادي فو : Baron CaradeVau : فرنسي متعصب، من كبار محرري "دائرة المعارف الإسلامية".

١٢. د.س. مرجيوليوث D.S. Margoliouth : إنجليزي متعصب من أتباعه طه حسين وأحمد أمين، له كتاب" التطورات المبكرة في الإسلام" ١٩١٣م، وله "محمد مطلع الإسلام"صدر سنة ١٩٠٥م، وله : "الجامعة الإسلامية"صدر عام ١٩١٢م.

١٣. هـ.ا.ر.جب H.A.R.Gibb : إنجليزي، من كتبه "المذهب المحمدي" صدر عام ١٩٤٧م، و"الاتجاهات الحديثة في الإسلام"صدر سنة ١٩٤٧م .

١٤.ر.ا.نيكولسون R.A. Nickolson : إنجليزي ينكر أن الإسلام دين روحي، ويتهمه بالمادية، وعدم السمو الإنساني، له كتاب "متصوفو الإسلام"و" التاريخ الأدبي للعرب"صدر في سنة ١٩٣٠م.

١٥. هنري لامنس اليسوعي H.Lammens( ١٨٧ - ١٩٣٧م) فرنسي، متعصب، له كتاب" الطائف" وهو من محرري دائرة المعارف الإسلامية.

١٦. جوزيف شاخت J.Schacht : ألماني متعصب، له كتاب : "أصول الفقه الإسلامي".

١٧. بلاشير Blachere : كان يعمل في وزارة الخارجية الفرنسية كخبير في شؤون العرب والمسلمين.

١٨. الفردجيوم A.GrroM إنجليزي، له كتاب "الإسلام".

**الأهداف الدينية للاستشراق :**

١. التشكيك في صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، والزعم بأن الحديث النبوي إنما هو من عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى.

٢. التشكيك في حجة القرآن الكريم والطعن فيه.

٣. التقليل من قيمة الفقه الإسلامي، واعتبار الفقه الروماني مصدراً له.

٤. النيل من اللغة العربية، واستبعاد قدرتها على مواكبة العصر.

٥. إرجاع الإسلام إلى مصادر يهودية ونصرانية.

٦. تنصير المسلمين.

٧. التلاعب بالأحاديث، والاعتماد على الأحاديث الضعيفة لدعم آرائهم.

٨. إضعاف روح الإخاء بين المسلمين، وتزوير تاريخهم أو تفسيره.

٩. تشويه الإسلام، وحجب محاسنه عن الشعوب المسيحية.

١٠. تفتيت الوحدة الإسلامية، وتحطيم الثقافة الإسلامية، والثقة في الإسلام وإسقاط الجهاد.
١١. بث الشكوك والشبهات في التعاليم الإسلامية، ومصادرها، كالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والسيرة، وحياة الصحابة، وقطع صلتهم القلبية بهم.
١٢. إبراز الخلافات المذهبية والعقائدية في طوائف المسلمين.
١٣. إقناع المسلمين بأن تخلفهم يرجع إلى تحجر تعاليم دينهم، وأنه لا يمكن تقدمهم إلا بإصلاح دينهم.
١٤. إقناع المسلمين بأن التطور هو قانون الحياة.
١٥. تقسيم المسلمين في فئات متحاربة، بإبراز النزاعات الفكرية بينهم.
١٦. تفخيم الثقافة الغربية، ووصف الثقافة الإسلامية بأنها صورة محرفة لها.
١٧. إحياء القوميات والعنصريات، باسم التراث، وأمجاد التاريخ، وعرض العصر الجاهلي عرضاً يغيب عن الأذهان استهجانه.
١٨. إبراز الشخصيات التي انحرفت عن تعاليم الإسلام، والشريعة، في الأدب والسياسة، والتصوف.
١٩. تنويه الحركات والنظريات الثائرة على التفكير التقليدي المعروف، وتفخيمها.
٢٠. دعم العناصر الانفصالية والاتجاهات الشاذة في الكيان الإسلامي علمياً، ومعنوياً.

**الهدف الاستعماري:**

يقول د/ حمدي زقزوق: استطاع الاستعمار تجنيد طائفة من

المستشرقين لخدمة أغراضه وتمكين سلطانه في بلاد المسلمين .

**الهدف السياسي :**

يقول ادوارد سعيد : إن المسألة الرئيسية للمستشرقين هي أن يبقوا الشرق والإسلام تحت سيطرة الرجل الأبيض ، والمستشرق هو العميل الخاص للقوة الغربية لرسم سياسته تجاه الشرق.

**الهدف الاقتصادي :**

اختار بعض الباحثين في الغرب الاستشراق لأسباب اقتصادية ، فقد كانت الكتب التي تتناول الشرق بالبحث ، مقبولة ورائجة في الغرب والشرق الذي كان خاضعاً للاستعمار ، وكانت هذه الكتب تشيع بسرعة ، وكانت سوقها نافقة ..

**الهدف العلمي :**

اختار بعض الباحثين العلوم الشرقية بحسن نية لمجرد البحث العلمي النزيه ، وكان آخرون اختاروه كبحث علمي لكنهم بأفكارهم.

**إنكار فضل العرب والمسلمين :**

طمس كل ما من شأنه أن يوحى بما كان للعرب من آيات الحضارة ومعالم الثقافة.

غرس صورة مشوهة في الأذهان عن الأمم التي استعمرها العرب ، ووصف المسلم خاصة بأنه عنصر جمود ، وتخلف ، لا نصيب له في مجال العلم ، وأن تخلفه يرجع إلى عقائده ، وأن ما يتعلق بماضيه الذي قاد فيه العالم كان حادثاً منعزلاً ، وما كان له من العلم

والثقافة كان مستمداً من اليونانيين في عهد الجهالة للغرب، فلما استيقظ الغرب أخذ هذا التراث وطوره.

والعلم العربي هو نقل وجمع من مصادر العلم العالمية بدون عقل و وعي، وليس لدى المسلمين علم أصيل.

يتبع هذا المنهج عامة المستشرقين إلا أن الأذكياء منهم يقومون بمدح واطراء في جانب، ودسيسة في جانب آخر.

ويجمع المستشرقون على إظهار تفوق الجنس الآري، فيصرح مثلاً قوتبتي بالتفوق البيولوجي للجنس العظيم المستطيل الرأس، والأشقر أي أوربا، على الإنسان السامي.

والعرب في رأيهم عاجزون عن أن يتمكنوا هم أنفسهم من استثمار ما جمعوا من نتائج، بعد طول العناء وبمهارة فائقة.

والعرب ورثوا من الكلدان انشغالهم بالتنجيم وباستطلاع الغيب، وهو عنصر مشرقي، ومن سماته الروح التجارية الانتفاعية، وحدة الأنانية، وحب الذات.

ويقول رودوارد كيبلنغ Kipling: الشرق شرق والغرب غرب، و لن يلتقيا، ويقول قوتبتي عن الأوربيين والمسلمين بعد مضى قرن كامل ما فتئوا يكونون كتلتين متجاورتين متباينتين ومن يعيش بقربهما يشعر في الحال أن هنالك حاجزاً سميكاً يفصل بينهما.

ورمى فيلسوف العلمانية أرنست رينان، الدين الإسلامي بالتحجر والتعصب والرجعية، ففيه سذاجة الفكر السامي المفزعة المتعلقة بالمخ البشري مغلقة منافذه في وجه كل لطيفة وكل إحساس

رقيق وكل تأمل و نظر منطقي ، جاعلة إياه وجها لوجه مع حلقة مغرقة مستمرة ، الله هو الله ، فمنذ القدم كان الفكر السامي بطبيعته مضاداً للفلسفة رافضاً للعلم.

ويقول رينان عن العلم العربي : هذا العلم العربي والفلسفة العربية لم يكونا إلا نقلاً حقيراً للعلم والفلسفة ، اليونانيين ، ومتى تركزت اليونانية أصبحت هذه النقول الداهشة عديمة الجدوى ، وإذا بحثنا في كل من هذه الآثار نجد أن العلم العربي لا شيء عربي فيه ، وأن صفحة روجر بيكن لتحوي من التفكير العلمي الحق أضعاف ما في هذا العلم غير الأصيل بأكمله.

وازداد هذا التيار المناوئ للعرب والإسلام قوة وحقداً في بداية القرن العشرين ، ولاسيما بعد الحرب العالمية الأولى وإثر قيام الحركات التحررية في عدد من البلدان ، واضطرت أوربا إلى الدفاع عن نفسها ضد حركات التحرر غير الأوربية ، فبدأت تقاوم كل ما لغير أوربا.

فيقول اندري سرمني : إن ما يدعي بالحضارة العربية لا وجود له البتة كظاهرة مبرزة للعبقرية العربية ، فهذه الحضارة إنما أنشأتها شعوب أخرى كانت لهم مدنيات قائمة قبل أن تستعبد قهراً من قبل الإسلام ، ولم يساهم فيها العنصر العربي إلا بمقدار هزيل يكاد لا يذكر ، فالكندي مثلاً لم يكن سوى يهودي من الشام اعتنق الإسلام ، وما كتبه من الرياضيات ليس إلا مجرد نقل ، واقتباس من أرسطو ، ورسائل أبي القاسم وابن البيطار ، وابن زهر ، وهم من

أصل إسباني، نسخ مطابقة للأصل لمؤلفات جالينوس وهارون، وأطباء الإسكندرية.

ويرى المستشرقون أن القرآن وقف حجر عثرة في وجه العلم وحرية النظر العقلي.

**محاولة تشويه القرآن الكريم :**

من أخطر ممن عبثوا بالقرآن الكريم وتعمدوا تشويهه كتاب دائرة المعارف الإسلامية، وخاصة من كتب منهم في التعريف بكلمة الله سبحانه وتعالى هو المستشرق الحاقد الخطر ماكدونالد D.B.Macdonald : فقد ضمن مقاله أباطيل وأكاذيب لا تحتمل.

ورد على هذه المزاعم مستشرق آخر هو كاردية L.Cardit إلا أن رده لا يخلو من أخطاء، إلا أن رده نال إعجاب النقاد والمحللين.

ومن أباطيل ماكدونالد مثلاً في حديثه عن القرآن الكريم، إنه من عند محمد صلى الله عليه وسلم، وليس من عند الله، فيقول:

" من المحقق أن أهل مكة جعلوا بينه وبين الجنة نسباً، وجعلوها شركاء لله، وقدموا لهم القرابين، وكانوا يعوذون به، ولسنا نعلم علم اليقين، هل كانت وجدت لديهم فكرة عن الملائكة، أو أنهم جعلوهم شركاء لله، وربما كان هذا تفسيراً من عند محمد صلى الله عليه وسلم ".

ويقول: إن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يزيد فيه أو ينقص منه، حسب ضرورات السجع، ويقول أن لوازم السجع حملته على وصف الله بعدة صفات.

ومن المستشرقين هـ.ج. جب و هـ. ج. ويلز.

يقول جب: إن محمداً صلى الله عليه وسلم قد تأثر بالضرورات الخارجية المحيطة به، وإنه شق طريقه من بين الأفكار والعقائد السائدة في زمانه، ويقول إن مكة كانت فيها حياة زاخرة، بالتجارة والسياسة والدين، وأنه وجدت فيها زعامة وزعماء، وفيها ظلم واجتماعي من سكانها، وانطبعت نفس محمد صلى الله عليه وسلم من كل هذه الجوانب، وظهرت آثار هذا الانطباع في حياته وفي قرآنه.

ويرى جب أن معارضة مشركي مكة له لم تكن لعقيدة محمد، بل كانت تنافساً قبلياً وقومياً، وللمصالح الاقتصادية.

ويقول عن القرآن الكريم إنه كان أثراً من آثار إحساس الرسول صلى الله عليه وسلم بالظلم الاجتماعي الذي ساد أهل مكة.

أما هـ. ج. ويلز فإنه يردد نفس التهم التي تستهدف تشويه القرآن الكريم والإسلام، فيقول إن محمداً صلى الله عليه وسلم صنع القرآن الكريم، فيقول في كتاب معالم فاتح الإنسانية":

"في سنة ٥٧٠ م ولد محمد صلى الله عليه وسلم مؤسس الإسلام، وولد له أطفال عديدون، كان اسم أحدهم عبد مناف، أي خادم الرب المكي، ويدل ذلك على أنه لم تكن له اكتشافات دينية في ذلك الوقت.. وأنه رأى كنائس مسيحية في سوريا، وعرف عن ديانة اليهود، واستمع إلى سخريتهم في ذلك الحجر الأسود في الكعبة، ورأى جماهير الحجيج، وربما كان اليهود قد هدوه إلى الاعتقاد في الرب الواحد الحق، دون أن يدرك ما حدث له، وجاء

بآيات معينة أعلن أنها قد أوحيت إليه عن طريق ملك من السماء".

من الأباطيل الموجهة إلى القرآن، نظام الآيات، والسور، والنزول، والقصص التاريخية، وقصص الأمم الغابرة، والجنة والنار، ووصف اليهود والنصارى، والمواد العلمية والملائكة، واختلاف القراءات، والشك في الكاتبين، والألفاظ القرآنية، والاعتراض على أنه كلام عربي مبين.

والتقط هذه التهم والأباطيل والشبهات عدد من الكتاب الذين درسوا في أوربا في ظل المستشرقين، وألفوا كتباً أثاروا فيها هذه المسائل، وقد رد على جميع هذه الأباطيل العلماء المسلمون، لكنها لا تزال موضوع كتابة تلاميذ المستشرقين في العالم الإسلامي.

**مزاعم المستشرقين :**

العقيدة، والقرآن، والسنة.

إسقاط صفة الربانية من الإسلام، وإنكار أنه دين سماوي.

يقول بعض المستشرقين إن العقيدة الإسلامية نتاج البيئة العربية، وعواملها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وعلى أساس هذا التصور يدعو المستشرقون إلى الخروج عن التعاليم التي خضعت بزعمهم لتأثيرات البيئة المحلية بعواملها المتعددة، مدعين أن تعاليم الإسلام تصلح فقط لتلك العصور الأولى، ويوجد هذا التصور في كتابات هملتن جب H.Jibb، وولفردكانتول اسمت W.C. Smith، ومنجمري وات، وجانسن Jansen، وغيرهم، وقد حذر جانسن المسلمين بأنهم إذا لم يحطموا قدسية القرآن الكريم

والسنة النبوية ، ولم ينقدوا نصوصها ، كما فعل النصارى للعهد الجديد فإنهم سيظلون عاجزين عن التقدم.

ويرى جولدزهير Goldziher ، وسورويل Souruel ، وواط Watt أن العقيدة الإسلامية قد تطورت عبر عدة مراحل ، وأخذت من عدة روافد أجنبية ، وأكثر صراحة في ذلك "واط" الذي يرجع كتاب Islam and Integration of Society (ظهور الإسلام وانتشاره) إلى مجرد عوامل اقتصادية وسياسية.

ويقول واط عن الجهاد إنه تقنين لقادة العرب للإغارة في الجاهلية ، وأنكر واط الطبيعة الدينية للجهاد ، وادعى أنه كان لمصلحة اقتصادية.

ويقول فينسنك Vensink إن تعاليم الكنيسة الشرقية كان لها أثر في العقيدة الإسلامية.

ويتهم الفرد جيلوم Alferd Guillaume إن الإسلام تأثر بالبيئة الجاهلية الكافرة ، ودخلت فيه العادات الوحشية.

يرد ماكدونالد بعض أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى أصول نصرانية.

ويقول سورويل أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ مفهوم الملائكة ومالهم من أعمال من تقاليد خيالية كانت سائدة في عصره ، ويقول هنري ماس Mass أن عقيدة الملائكة مأخوذة من اليهودية ، وأن مفهوم الشيطان أيضاً مأخوذ من اليهود.

ويرى بروكلمان Brockelmann أن الرسول صلى الله عليه

وسلم أخذ كثيراً من القصص الواردة في القرآن من الكتاب المقدس.

ويستدل بعض المستشرقين على دعوى تأليف الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم بوجود الفروق بين الآيات المكية والمدنية، ويرجع ذلك إلى اختلاف البيئة والمجتمع بين مكة والمدينة.

**إنكار كون الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين :**

أنكر عدد من المستشرقين رسالة النبي صلى الله عليه وسلم واتهموه بأنه ادعى ذلك، إلا أن المستشرق توماس أرنلد مع عدم إيمانه بالإسلام، أقر بمعقولية الرسالة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم وبعالمية مفهومها واعتبارها دعوة ربانية.

**الإيمان بالآخرة :**

يزعم عدد من المستشرقين أن التعاليم الإسلامية الخاصة باليوم الآخر اقتبسها الرسول صلى الله عليه وسلم من مصادر خارجية، فيرى هنري ماسيه أن عذاب القبر فكرة مأخوذة من النصرانية، والفردوس من الفارسية، وأنهار الجنة من اليهودية والمسيحية، ويرى CaradeVaux أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ كلمة جهنم من اللفظ أميري جيهنوم.

**الإيمان بالقدر :**

يرى المستشرق جريمي Jremme أن الميل نحو الجبر يرجع إلى افتراءات مختلفة من لعبة الرسول صلى الله عليه وسلم حسب التأثيرات التي أملتها ظروف كل فترة، فقد كانت حرية الاختيار في العصر المكي، والتعاليم الجبرية في العهد المدني.

ويرجع اتجاه هؤلاء المستشرقين إلى الفلسفات التي عاشتها أوربا، من فلسفة الاجتماع والتطور، وتأثير البيئة بعد أن رفضوا الطبيعة الربانية للإسلام.

**أهم المراجع**

١. نجيب العقيقي: المستشرقون، ثلاثة أجزاء، القاهرة.
٢. علي إبراهيم النملة: العلاقة بين الاستشراق والاستعمار.
٣. الدكتور مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، بيروت.
٤. محمد عبد الفتاح عليان: أضواء على الاستشراق، الكويت.
٥. عبد الرحمن حبنكة الميداني: أجنحة المكر الثلاث وخوافيها التبشير والاستشراق والاستعمار دراسة وتحليل وتوجيه، دار القلم.
٦. صلاح الدين المنجد: المنتقى من دراسات المستشرقين، بيروت.
٧. إبراهيم اللبان: المستشرقون والإسلام، القاهرة.
٨. عرفان عبد الحميد: المستشرقون والإسلام، محاولة أولية لتفهم الأسس التاريخية، لطبيعة العلاقات بين الإسلام والغرب، بيروت.
٩. الدكتور محمد غلاب: نظرات استشراقية في الإسلام، القاهرة.
١٠. الدكتور ميشال جحا: الدراسات العربية والإسلامية في أوربا.
١١. المستشار عزت الطهطاوي: التبشير والاستشراق، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة.
١٢. زكريا هاشم زكريا: المستشرقون والإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.
١٣. محمد حسين علي الصغير: المستشرقون والدراسات القرآنية، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
١٤. محمود حمدي زفزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، القاهرة.
١٥. مالك بين نبي: إنتاج المستشرقين، وأثره في الفكر الإسلامي، دار الإرشاد، بيروت.

١٦. عدنان محمد فدان: الاستشراق والمستشرقون، وجهة نظر، مكة المكرمة.

١٧. الدكتور عبد العظيم الديب: المستشرقون والتراث، دار الوفاء بالمنصورة.

١٨. الدكتور أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، جدة دار المنارة.

١٩. قاسم السامرائي: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، الرياض، دار الرفاعي.

٢٠. نذير حمدان: مستشرقون سياسيون جامعيون مجمعيون: مكتبة الصديق، الطائف.

٢١. أحمد الشرباصي: التصوف عند المستشرقين، مطبعة نور الأمل، القاهرة.

٢٢. علي حسن الخربوطلي: المستشرقون والتاريخ الإسلامي، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

٢٣. الدكتور إدوارد سعيد: الاستشراق، ترجمة الدكتور كمال أبوديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.

٢٤. الإسلام والمستشرقون، أبو الحسن علي الحسني الندوي.

٢٥. عبد الجليل شلبي: صور استشراقية، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

٢٦. أنور جندي: سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

٢٧. محمد بن عبود: منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي، (كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية الجزء الأول، تونس، المنظمة العربية للتربية، الثقافة والعلوم ١٩٨٥م).

٢٨. نجيب الكيلاني: الإسلام والقوى المضادة، بيروت.

٢٩. محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، القاهرة.

٣٠. د/إسماعيل علي محمد: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر.

٣١. دراسات استشراقية وحضارية، كتاب دوري محكم، العدد الأول: ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، كلية الدعوة، المدينة المنورة.

٣٢. مجلة المشكاة: المجلد السابع، العددان: ٢٥- ٢٧، ١٩٩٨م، المغرب.

# التنصير(١)

**التعريف:**

التنصير حركة سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب .

**الإمكانات:**

في إندونيسيا يسيطرون على وسائل الإعلام، ولديهم إذاعات تبشيرية وصحف قومية، وإحصائية ١٩٧٥م تكشف بأن فيها ٩٨١٩ كنيسة لطائفة البروتستانت و٣٨٩٧ قسيس و٨٥٠٤ مبشر متفرغ، ولطائفة الكاثوليك ٧٢٥٠ كنيسة و٢٦٣٠ قسيس، و٥٣٩٣ مبشر متفرغ، وقد وضعوا خطة للانتهاء من تنصيرها في عام ٢٠٠٠م ميلادية.

في ينجلاديش إرساليات تبشيرية كثيرة لتنصير المسلمين هناك.

في كينيا: يعندون لتنصيرها تماماً في عام ٢٠٠٠م ميلادية أيضاً.

إن التنصير يلقي بثقله في ماليزيا ودول الخليج وإفريقيا.

ذكر في مؤتمر عدم الانحياز في كوالالمبور بأن هناك حوالي

---

١ - هذا البحث مقتبس بتصرف يسير من كتاب" الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة" للندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢٥٠٠ محطة إذاعية من ٦٤ لغة قومية تشن هجوماً صريحاً وضارياً ضد الإسلام.

مجموع الإرساليات الموجودة في ٣٨ بلداً إفريقياً يبلغ ١١١،٠٠٠ إرسالية بعضها يملك طائرات تنقل الأطباء والأدوية والممرضات لعلاج المرضى في الغابات وأحراش الجبال .

يوجد الآن في العالم ما يربو على ٢٢٠ ألف مبشر منهم ١٣٨،٠٠٠ كاثوليكي ، والباقي ٨٢،٠٠٠ بروتستانتي ، وفي إفريقيا وحدها ١٩٩،٠٠٠ مبشر ومبشرة ، ينفقون بليون دولار سنوياً.

**الجذور الفكرية والعقائدية :**

لقد بدأ التنصير وتوسع إثر الانهزامات التي مني بها الصليبيون طوال قرنين من الزمان(١٠٩٩- ١٢٥٤م) أنفقوهما في محاولة الاستيلاء على بيت المقدس وانتزاعه من أيدي المسلمين.

الأب اليسوعي ميبز يقول : "إن الحروب الصليبية الهادئة التي بدأها مبشرونا في القرن السابع عشر لا تزال مستمرة إلى أيامنا ، إن الرهبان الفرنسيين والراهبات الفرنسيات لا يزالون كثيرين في الشرق".

يرى المستشرق الألماني بيكر Becker بأن "هناك عداء من النصرانية ضد الإسلام بسبب أن الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سداً منيعاً في وجه انتشار النصرانية ، ثم إن الإسلام قد امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها".

التنصير في أساسه يهدف إلى تمكين الغرب النصراني من البلاد الإسلامية وهو مقدمة أساسية للاستعمار وسبب مباشر لتوهين قوة المسلمين وإضعافها .

**التأسيس وأبرز الشخصيات:**

ريمون لول: أول نصراني يتولى التبشير بعد فشل الحروب الصيلبية في مهمتها إذ إنه قد تعلم اللغة العربية بكل مشقة، وأخذ يجول في بلاد الشام مناقشاً علماء المسلمين.

منذ القرن الخامس عشر وأثناء الاكتشافات البرتغالية، دخل المبشرون الكاثوليك إلى إفريقيا، وبعد ذلك بكثير أخذت ترد الإرساليات التبشيرية البروتستانتية إنجليزية وألمانية وفرنسية.

بيتر هيلنغ: احتك بمسلمي سواحل إفريقيا منذ وقت مبكر.

الباردون دوبيتز: حرك ضمائر النصارى منذ عام ١٦٦٤م إلى تأسيس كلية تكون قاعدة لتعليم التبشير المسيحي.

المستر كاري: فاق أسلافه في مهمة التبشير، وقد ظهر إبان القرن الثامن عشر، وبداية التاسع عشر.

كان للمبشر هنري مارتن(ت ١٨١٢م) يد طولى في إرسال المبشرين إلى بلاد آسيا الغربية، وقد ترجم التوراة إلى الهندية، والفارسية، والآرمنية.

في عام ١٧٩٥م تأسست "جمعية لندن التبشيرية" وتبعتها أخريات في أسكوتلنده، ونيويورك.

في سنة ١٨١٩م اتفقت جمعية الكنيسة البروتستانية مع أقباط مصر، وألفت في مصر إرسالية عهدت إليها نشر الإنجيل في إفريقيا.

دافيد ليفنستون (١٨١٣- ١٨٧٣م): رحالة بريطاني، اخترق أواسط إفريقيا، وقد كان مبشراً قبل أن يكون مستكشفاً.

في سنة ١٨٤٩م أخذت ترد إرساليات التبشير إلى بلاد الشام،

وقد قامت بتقسيم المناطق بينها.

وفي سنة ١٨٥٥م تأسست جمعية الشبان المسيحية من الإنجليز والأمريكان، وقد انحصرت مهمتها في إدخال ملكوت المسيح بين الشبان كما يزعمون.

في سنة ١٨٩٥م تأسست جمعية اتحاد الطلبة المسيحيين في العالم، وهي تهتم بدراسة أحوال التلاميذ في كل البلاد مع العمل على بث روح المحبة بينهم (المحبة تعنى التبشير بالنصرانية).

صموئيل زويمر Zweimer رئيس إرسالية التبشير العربية في البحرين ورئيس جمعيات التنصير في الشرق الأوسط، كان يتولى إدارة مجلة "العالم الإسلامي" الإنجليزية التي أنشأها سنة ١٩١١م والتي ما تزال تصدر إلى الآن من هاتيفورد، دخل البحرين عام ١٨٩٠م، ومنذ عام ١٨٩٤م قدمت له الكنيسة الإصلاحية الأمريكية دعمها الكامل، وأبرز مظاهر عمل البعثة التي أسسها زويمر كان في حقل التطبيب في منطقة الخليج، وتبعاً لذلك فقد افتتحت مستوصفات لها في البحرين، والكويت، ومسقط، وعمان، ويعد زويمر من أكبر أعمدة التنصير في العصر الحديث.

كنث كراج K. Cragg خلف صموئيل زويمر على رئاسة مجلة "العالم الإسلامي"، وقام بالتدريس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة لفترة من الوقت وهو رئيس قسم اللاهوت المسيحي في هارتيفورد بأمريكا، وهو معهد للمبشرين، ومن كتبه "دعوة المئذنة" صدر عام ١٩٥٦م.

لويس ماسينيون: قام على رعاية التبشير والتنصير في مصر،

وهو عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، كما أنه مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال إفريقيا.

دانيال بلس: يقول: "إن كلية روبرت في استانبول (الجامعة الأمريكية حالياً) كلية مسيحية غير مستترة لا في تعليمها ولا في الجو الذي تهيئه لطلابها لأن الذي أنشأها مبشر، ولا تزال إلى اليوم لا يتولى رئاستها إلا مبشر".

الأب شانتور: رئيس الكلية اليسوعية في بيروت زمنا طويلاً أيام الانتداب الفرنسي.

مسترنبروز: ترأس جامعة بيروت الأمريكية عام ١٩٤٨م يقول: لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون الأمريكيون في سعيهم لتنصير سوريا ولبنان".

دون هك كري: كان أكبر شخصية في مؤتمر لوزان التبشيري عام ١٩٤٧م، وهو بروتستانتي، عمل مبشراً في باكستان لمدة عشرين سنة، وهو أحد طلبة مدرسة فلر للتبشير العالمي، وبعد مؤتمر كولورادو التبشيري عام ١٩٧٨م أصبح مديراً لمعهد صموئيل زويمر الذي يضم إلى جانبه داراً للنشر ولإصدار الدراسات المختصة بقضايا تنصير المسلمين ومقرها في كاليفورنيا، وهو يقوم بإعداد دورات تدريبية لإعداد المبشرين وتأهيلهم.

**الأفكار والمعتقدات:**

أولاً: أفكارهم:

محاربة الوحدة الإسلامية: يقول القس سيمون: " الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية وتساعد على التملص من

السيطرة الأوربية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية".

يقول لورنس براون Lawrance Brawn : "إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم، وخطراً أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير".

يقول مستر بلس: "إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في إفريقيا".

انتشار الإسلام بالسيف: يقول المبشر نلسون: "وأخضع سيف الإسلام شعوب إفريقيا وآسيا شعباً بعد شعب".

يقول هنري جسب: Henry Jesups المبشر الأمريكي: لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها، إنهم لصوص وقتلة ومتأخرون، وإن التبشير سيعمل على تمدينهم".

لطفي ليفونيان: وهو أرمني ألف بضعة كتب للنيل من الإسلام، يقول: " إن تاريخ الإسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح".

أديسون Addison يقول عن محمد صلى الله عليه وسلم: " محمد لم يستطع فهم النصرانية ولذلك لم يكن في خياله إلا صورة مشوهة بني عليها دينه الذي جاء به العرب".

المبشر نلسن يزعم بأن الإسلام مقلد، وأن أحسن ما فيه إنما هو مأخوذ من النصرانية وسائر ما فيه أخذ من الوثنية كما هو أو مع

شيء من التبديل.

المبشر ف. ج. هاربر يقول: " إن محمداً كان في الحقيقة عابد أصنام ذلك لأن إدراكه لله في الواقع كاريكاتور".

المبشر جسب يقول: " إن الإسلام مبني على الأحاديث أكثر مما هو مبني على القرآن، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شيء".

ويقول كذلك: "الإسلام ناقص والمرأة فيه مستعبدة".

المبشر جون تاكلي يقول: "يجب أن نُري هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن الكريم ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً".

أما القس صموئيل زويمر فيقول في كتابه "العالم الإسلامي اليوم":

"يجب إقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم".

"يجب نشر الكتاب المقدس بلغات المسلمين لأنه أهم عمل مسيحي".

تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها".

"ينبغي للمبشرين أن لا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة إذ إن من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وتحرير النساء".

وقال صموئيل زويمر كذلك في مؤتمر القدس التنصيري عام ١٩٣٥م:

"...لكن مهمة التبشير التي ندبتكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها".

"...إنكم أعددتم نَشئاً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي فقد جاء النشء طبقاً لما أراده الاستعمار لا يهتم بعظائم الأمور ويحب الراحة والكسل، فإذا تعلم فللشهرة، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهرة يجود بكل شيء".

**ثانياً: مؤتمراتهم:**

لقد كان لهم وما يزال الكثير من المؤتمرات الإقليمية والعالمية ومن ذلك:

مؤتمر القاهرة (عام ١٣٣٤هـ/١٩٠٦م) وقد دعا إليه زويمر بهدف عقد مؤتمر يجمع الإرساليات التبشيرية البروتستانية للتفكير في مسألة نشر الإنجيل بين المسلمين، وقد بلغ عدد المؤتمرين (٦٢) شخصاً بين رجال ونساء، وكان زويمر رئيساً لهم.

المؤتمر التبشيري العالمي في اندنبره باسكوتلنده عام ١٣٢٨هـ/١٩١٠م، وقد حضره مندبوبون عن ١٥٩ جمعية تبشيرية في العالم.

مؤتمر التبشير في لكناؤ بالهند (عام ١٣٣٩هـ/١٩١١م)، حضره صموئيل زويمر، وبعد انفضاض المؤتمر وزعت على الأعضاء رقاع مكتوب على أحد وجهيها (تذكار لكناؤ سنة ١٩١١م)، وعلى

الوجه الآخر( اللهم يا من يسجد له العالم الإسلامي خمس مرات في اليوم بخشوع انظر بشفقة إلى الشعوب الإسلامية وألهمه الخلاص بيسوع المسيح).

مؤتمر بيروت عام ١٩١١م.

مؤتمرات التبشير في القدس :

في عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م.

في عام ١٩٢٨م مؤتمر تبشيري دولي.

في عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، وقد كان يضم ١٢٠٠ مندوب.

في عام ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

مؤتمر الكنائس البروتستانتية عام ١٩٧٤م في لوزان بسويسرا.

وأخطر المؤتمرات مؤتمر كولورادو في ١٥/أكتوبر ١٩٧٨م تحت اسم "مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين" حضره ١٥٠ مشتركاً، يمثلون أنشط العناصر التنصيرية في العالم، استمر لمدة أسبوعين بشكل مغلق، انتهى بوضع استراتيجية بقيت سرية لخطورتها مع وضع ميزانية لهذه الخطة مقدارها ١٠٠٠ مليون دولار، وقد تمّ جمع هذا المبلغ فعلاً، وتمّ إيداعه في أحد البنوك الأمريكية الكبرى.

المؤتمر العالمي للتنصير الذي عقد في السويد في شهر أكتوبر ١٩٨١م تحت إشراف المجلس الفيدرالي اللوثراني الذي نوقشت فيه نتائج مؤتمري لوزان وكولورادو، وخرج بدراسة مستفيضة عن التنصير لما وراء البحار بهدف التركز على دول العالم الثالث.

ومن مؤتمراتهم كذلك :

- مؤتمر استانبول

- مؤتمر حلوان بمصر.
- مؤتمر لبنان التبشيري.
- مؤتمر بغداد التبشيري.
- مؤتمر قسنطينة التبشيري في الجزائر، وذلك قبل الاستقلال.
- مؤتمر شيكاغو.
- مؤتمر مدراس التبشيري في بلاد الهند، وكان ينعقد هذا المؤتمر كل عشر سنوات .
- مؤتمر بلتيمور بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٢م، وهو مؤتمر خطير جداً، وقد حضره من اليهود بن غوريون.

بعد الحرب العالمية الثانية اتخذت النصرانية نظاماً جديداً إذ ينعقد مؤتمر للكنائس مرة كل ست أو سبع سنوات متنقلاً من بلد إلى آخر.

- مؤتمر امستردام ١٩٤٨م بهولندا.
- مؤتمر إيفانستون ١٩٥٤م، أمريكا.
- مؤتمر نيودلهي ١٩٦١م، الهند.
- مؤتمر أوفتالا ١٩٦٧م بأوربا.
- مؤتمر جاكرتا ١٩٧٥م، إندونيسيا، وقد اشترك فيه ٣٠٠٠ مبشر نصراني.

**أشهر المراكز والمعاهد التنصيرية.**

- معهد صموئيل زويمر في ولاية كاليفورنيا، فقد تم إنشاؤه بناء على توصية من قرارات مؤتمر كولورادو.
- المركز العالمي للأبحاث والتبشير في كاليفورنيا الذي قام بتقديم التمويل والأشخاص اللازمين للإعداد لمؤتمر كولورادو مع تهيئة

عوامل نجاح هذا المؤتمر.

- الجامعة الأمريكية في بيروت (الكلية السورية الإنجيلية سابقاً) أنشئت عام ١٨٦٥م.
- الجامعة الأمريكية في القاهرة، أنشئت لتكون قريبة من الأزهر ومنافسة له.
- الكلية الفرنسية في لاهور.
- جمعية الكنيسة الإنجليزية، وهي أهم جمعية بروتستانية، وقد مضى على إنشائها قرابة قرنين من الزمان.
- إرساليات التبشير الأمريكية، وأهمها الجمعية التبشيرية الأمريكية والتي يرجع عهدها إلى سنة ١٨١٠م.
- جمعية إرساليات التبشير الشرقية، أسسها القسيس ليسيوس سنة ١٨٩٥م وقد بدأ عملها فعلاً سنة ١٩٠٠م.

❖ أسس الإنجليز في سنة ١٨٠٩م الجمعية اللندنية لنشر النصرانية بين اليهود وبدأ عملها بأن ساقت اليهود المتفرقين في شتات الأرض إلى ولاية فلسطين.

**بعض الكتب التنصيرية:**

❖ جمعت موضوعات مؤتمر القاهرة ١٩٠٦م في كتاب كبير اسمه"وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين".

❖ صنف زويمر كتاباً جمع فيه بعض التقارير عن التبشير أسماه "العالم الإسلامي اليوم" تحدث فيه عن الوسائل المؤدية للاحتكاك بالشعوب غير المسيحية وجلبها إلى حظيرة المسيح مع بيان الخطط التي يجب على المبشر اتباعها.

- تاريخ التبشير: للمبشر أدوين بلس البروتساتانتي.
- كتاب المستر فاردنر: ركز فيه حديثه عن إفريقيا وسبل نشر النصرانية فيها وعوائق ذلك ومعالجاته.
- مجلة إرساليات التبشير البروتستانتية التي تصدر في مدينة بال بسويسرا والتي تحدثت عن مؤتمر أدنبره سنة ١٩١٠م.
- مجلة الشرق المسيحي الألمانية، تصدرها جمعية التبشير الشرقية الألمانية منذ سنة ١٩١٠م.
- دائرة المعارف الإسلامية التي صدرت بعدة لغات حية.
- موجز دائرة المعارف الإسلامية.

**وسائلهم وإمكاناتهم:**

١ - **التطبيب.**

وذلك من خلال تقديم الخدمات الطبية بهدف استغلال هذه المهنة في التنصير.

بول هاريسون له كتاب" الطبيب في بلاد العرب" يقول: "لقد وُجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى".

س.أ. موريسون محرر في مجلة "العالم الإسلامي" يقول: "وحينئذ تكون الفرصة سانحة حتى يبشر هذا الطبيب بين أكبر عدد ممكن من المسلمين في القرى الكثيرة في طول مصر وعرضها".

المبشرة أيدهاريس تقول: "يجب على الطبيب أن ينتهز الفرصة ليصل إلى أذان المسلمين وقلوبهم ".

المستر هاربر يقول بوجوب الإكثار من الإرساليات الطبية لأن رجالها يحتكون دائماً بالجمهور ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر

مما للمبشرين الآخرين".([1])

من المبشرين الأطباء : آن أساوودج ، فورست ، كارنيليوسي فانديك ، جورج بوست ، وتشالرز كلهون ، ماري أوي ، الدكتور طومسون.

٢- **التعليم :**

إنهم يضعون كل ثقلهم في استغلال التعليم وتوجيهه بما يخدم أهدافهم التنصيرية.

إنشاء المدارس والكليات والجامعات والمعاهد العليا ، وكذلك إنشاء دور للحضانة ورياض للأطفال واستقبال الطلبة في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية.

لقد وزعوا خلال مائة وخمسين عاماً ما يزيد عن ألف مليون نسخة من نسخ العهد القديم والجديد مترجمة إلى ١١٣٠ لغة عدا النشرات والمجلات التي تبلغ قيمتها بما يقدر بـ(٧٠٠٠) مليون دولار..

الاستشراق والتنصير يتعاونان تعليمياً في خدمة أهدافهما المشتركة.

٣ ـ **الأعمال الاجتماعية :**

إيجاد بيوت للطلبة من الذكور والإناث .

إيجاد الأندية :

الاهتمام بدور الضيافة والملاجئ للكبار ودور لليتامى واللقطاء.

الاعتناء بالأعمال الترفيهية وحشد المتطوعين لأمثال هذه

---

[1] مؤتمر القاهرة : ١٩٠٦م

الأعمال.

إنشاء المكتبات التبشيرية واستغلال الصحافة بشكل واسع.

إنشاء مخيمات الكشافة التي تستغل أفضل استغلال في التنصير.

زيارة المسجونين والمرضى في المستشفيات وتقديم الهدايا والخدمات لهم.

تكلمت المس ولسون ومس هلداي في مؤتمر القاهرة ١٩٠٦م عن دور المرأة كمبشرة لتقوم بنشر ذلك بين نساء المسلمين المسلمات .

**٤ ـ النسل :**

في اجتماع الأب شنوده في ١٩٧٣/٣/٥م مع القساوسة والأثرياء في الكنيسة المرقسية بالإسكندرية طرحوا بعض المقررات، وقد كان منها تحرير تحديد النسل أو تنظيمه بين شعب الكنيسة وتشجيع الإكثار من النسل بوضع الحوافز والمساعدات المادية والمعنوية مع تشجيع الزواج المبكر بين النصارى، وبالمقابل تحديد النسل وتنظيمه بين المسلمين خاصة علماً بأن أكثر من ٦٥٪ من الأطباء وبعض القائمين على الخدمات الصحية هم من شعب الكنيسة.

**٥ ـ الفتن والحروب :**

يعملون على تشجيع الحروب والفتن وذلك لإضعاف الشعوب الإسلامية.

إثارة الاضطرابات المختلفة بإذكاء العداوة والبغضاء وإيقاظ روح القوميات الإقليمية الطائفية الضيقة كالفرعونية في مصر والفينيقية في الشام وفلسطين ولبنان، والآشورية في العراق، والبربرية في شمال إفريقيا.

يقول زويمر في مؤتمر التبشير في لكناؤ بالهند ١٩١١م: "إن الانقسام السياسي الحاضر في العالم الإسلامي دليل بالغ على عمل يد الله في التاريخ واستثارة للديانة المسيحية كي تقوم بعملها".

**المراجع :**


١. الفكر الإسلامي الحديث: د/محمد البهي – طه :٨، مكتبة وهبة بالقاهرة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٢. التبشير والاستعمار : محمد عزت إسماعيل الطهطاوي، المطابع الأميرية بالقاهرة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٣. التبشير والاستعمار في البلاد العربية: د/مصطفى الخالدي و د/عمر فروخ، ط:٣ ١٩٧٣م.

٤. الغارة على العالم الإسلامي / ا.ل. شاتلية، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، ط:٣، المطبعة السلفية ١٣٨٥م .

٥. معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير/ إبراهيم سليمان الجبهان، ط ٤، عالم الكتب، الرياض ١٩٨١م.

٦. أضواء على الاستشراق د/عبد الفتاح عليان، ط ١، دار البحوث العلمية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

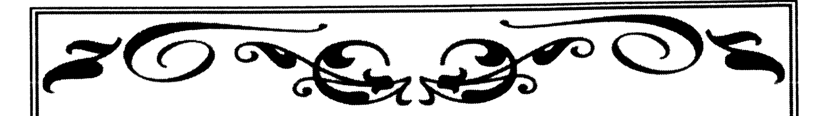
٧. قادة الغرب يقولون/ جلال العالم ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٨. مجلة البلاغ العدد ٤٨٤ في ١٤/٢/١٩٧٩م.

٩. دائرة المعارف الإسلامية The Encyclopaedia of Islam

١٠. دائرة معارف الدين والأخلاق. The Encyclopaedia of Religion and Ethics.

11- Focus on Christian Muslim Relation .a



الفصل الرابع

# الأفكار والنظريات الغربية
# التي أثرت على العالم الإسلامي

## القومية

## الوطنية

## الإقليمية

## العنصرية

## العلمانية

## الاشتراكية

## الحرية والثورة

## الماسونية

## الارتقاء والتطور



# الوطنية والقومية والإقليمية والعنصرية

من أقوى الأفكار الغربية التي أثرت على العالم الإسلامي، وكانت ناتجة عن الظروف الخاصة التي مرت بها أوربا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر: القومية والوطنية، وكان مصدر تصور الوطنية فرنسا التي قامت بها الثورة في أواخر القرن الثامن عشر، وكانت هذه الثورة ضد سلطة الدين، والنظام الوراثي، فوجهت فيها الدعوة إلى حرية الفرد، ومنح كل مواطن حقه الشرعي، وإزالة التمييز على أساس الطبقة والعقيدة، ومرت فرنسا بمراحل قلقة من ١٧٨٤م إلى ١٨٣٠م، وقويت حركة الوطنية بعد ثورة ١٨٣٠م، ووجود الديمقراطية التي نالت القبول في بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وسويسرا، وهولندا، وبلجيكا، وإيطاليا، وأسبانيا، ودول البلقان، وبدأت حركة لمنح الأغلبية حق الحكومة، و تقرير مصير البلاد، ولمعرفة رأي الأغلبية اللجوء إلى تهيئة فرص الاقتراع العام.

وتؤيد دراسة الأوضاع أن حركة الديمقراطية والوطنية أو القومية سارت معاً، والفترة التي نشطت فيها هذه الحركة هي ١٨٣٠م- ١٩١٤م، وتعنى الوطنية برنامجاً أو نظاماً على أساس الشعور بالوطن، وتختلف الاعتبارات لتعيين الوطنية أو القومية، منها الاشتراك في اللغة، والثقافة، والتاريخ، والعنصر، أو الدين،

وأجمع المفكرون على أن أهم عنصر للجمع وتكوين الأمة هو التاريخ المشترك، والطموح المشترك لبناء المستقبل، والعقيدة المشتركة للتوجه إلى المستقبل، ومثال ذلك الولايات المتحدة، وبلجيكا، وسويسرا، حيث تختلف اللغات والأديان والأصول.

**القومية:**

كانت القومية أقوى عنصر لتوجيه أوربا المعاصرة، من عام ١٨٣٠م إلى ١٩١٤م، وأصبحت نزعة قوية، وحلت هذه النزعة محل الدين في التأثير، وحمل الإنسان على القيام بالتضحية، وتحولت هذه النزعة إلى العصبية الهجومية عام ١٨٤٨، ودخلت فيها السلبية، فنشأ زهو الولاء الكامل للوطن خيراً كان أم شراً، نحن مع البلاد، سواء كانت مع الحق أم مع الباطل.

**في ألمانيا**

وفي ألمانيا في القرن التاسع عشر نشأ اتجاه إلى القومية على أساس غلبة عنصر الأغلبية، أو العصبية السلالية، وبدأ التمييز العنصري.

فنشأت أولاً العصبية الآرية ضد السياسة، ثم العصبية الألمانية ضد الدول الأوربية الأخرى، وأدت هذه النزعة إلى سفك دماء، وتعذيب العناصر التي لا تنتمي إلى الجنس الأفضل.

**في تركيا:**

اجتاحت حركة القومية تركيا في عام ١٩٠٨م، بعد أن استقلت عنها عدة دول في أوربا الشرقية، وقامت مملكة بلغاريا في سنة ١٩٠٨م، وكانت الخلافة العثمانية تعاني في هذه الفترة من

أزمـات اقتـصادية وسياسـية ، وثـورات ، فقامـت جماعـة الـشباب المتحـررين الـذين تـأثروا بالأحـداث في أوربـا ، وأنـشأوا حركـة تركيـا الفتـاة (Young Turki) ، وكـان معظـم هـؤلاء الـشباب قـد تعلمـوا وتثقفـوا في المدارس الأوربيـة ، ودعـت هـذه الجماعـة إلى تقليـد أوربـا ، وإنشاء حكـم ديمقراطي في تركيـا ، وأجـبروا السلطان على إصـلاحات دسـتورية ، وفي العـام التـالي أجـبر الـسلطان عبـد الحميـد الثـاني علـى التنـازل ، وأدت هـذه النزعـة إلى التخلـي عـن الـدين ، وقويـت حركـة لإنـشاء حكومـة علـى أسـاس القوميـة الثقافيـة ، والتاريخيـة ، ووجهـت الدعوة إلى الانفصال عن غير الأتراك ، وتصعد الانتماء إلى الطورانية.

**القومية العربية**

يقـول جـورج انطونيـو في كتابـه "يقظـة العـرب" إن الـدعوات القومية بدأت سنة ١٨٤١م بإنشاء جمعية أدبية في بيروت تحت رعاية الأمـريكيين ، وفي فـترة مـا بـين ١٨٤٧م- ١٩٤٧م أنـشئت عـدة جمعيات قومية بأسماء أدبية وعلمية ، وغربيـة ، بقيـادة النـصرانيين ، كجمعيـة الآداب والعلـوم لبطـرس البـستاني ، وناصـيف اليـازجي ، تحت رعاية المبشرين والأمريكان في عام ١٨٧٤م ، والحـزب القـومي السوري لأنطون سعادة.

ويقول الدكتور يوسف خليل :

"ومما يجدر بالـذكر أن الحركـة القوميـة العربيـة كـان فيهـا الـدور البارز الذي قام بـه المسيحيون في توجيههـا وتغـذيتها واختفـاء النزعـة الدينية تماماً من المفهوم العربي.

وحمل تصور القومية العربية نصراني سوري كان يعيش في باريس اسمه نجيب عزوري الذي أسس في عام ١٩٠٥م رابطة الوطن العربي، وأصدر صحيفة "اليقظة العربية"، و"الاستقلال العربي"، وأنشأ المؤتمر القومي العربي الذي عقد في باريس ١٩١٣م.

والواقع أن الدعوة إلى القومية والانفصال عن الدين، خرجت من فرنسا بطريق الطلبة العرب الدارسين فيها، وكان في مقدمتهم المسيحيون.

يقول علي حسن الخربوطلي:

كان أول من نشر رسالة القومية بين العرب هم أبناء الرعايا أي المسيحيين الذين وجدوا في القومية أداة صالحة ليس للتخلُّص من السيادة العثمانية، بل للخروج كذلك من حدود الدائرة الإسلامية إلى وسط أرحب حيث يستطيع المسلمون وغير المسلمين من العرب أن يذيبوا أنفسهم في ولاء شامل.

وبلغت هذه النزعة لدى بعض الدعاة حد تفضيل العهد الجاهلي على العهد الإسلامي، وتفضيل المسلم العربي على المسلم غير العربي، وسادت النزعة للقومية العربية، والقومية الطورانية في آن واحد، فكانت هذه النزعة من الأسباب المباشرة لانفكاك الخلافة العثمانية القائمة على أساس الدين.

**الإقليمية**

وتطورت هذه النزعة من القومية إلى الإقليمية في كل بلد غزى بهذا الفكر فانقسم العالم العربي إلى دول ودويلات بنزعات وطنية

ضيقة، فقامت القومية بفصل العرب عن غير العرب، ثم الوطنية بفصل كل بلد عن غيره من البلدان العربية، يقول علي ناصر الدين: " ليست القومية عند العربي إلا قضية إيمان، إيمان بالوطن للوطن، كقضية الإيمان بالله لله ليس غير"[١].

ويقول كاتب آخر: العروبة نفسها دين عندنا نحن القوميين العرب المؤمنين العريقين من مسلمين ومسيحيين لأنها وجدت قبل الإسلام وقبل المسيحية في هذه الحياة.

ويرى كاتب آخر: الوحدة العربية يجب أن تنزل من قلوب العرب أينما كانوا منزل وحدة الله من قلوب قوم مؤمنين.

ويقول محمد تيمور: لكل عصر نبوته المقدسة، وإن القومية العربية لهي نبوة هذا العصر في مجتمعنا العربي.

**إحياء الحضارات البائدة**

وبجانب النعرة القومية والوطنية بذلت جهود لإحياء الحضارات الإقليمية القديمة كحضارة فرعون وبابل وآشور التي مرَّت عليها آلاف السنين.

---

[١] "يقظة العرب" للأستاذ علي ناصر الدين، ص: ١٩ سنة ١٩٦٣م

# تاريخ الدعوة للقومية العربية

الدعوة القومية ظهرت في أوربا فتأثرت بتأثيرها دول إيطاليا وألمانيا، وغيرها من الدول، ونشر الاستعمار هذه الفكرة لتمزيق شمل المسلمين، كبديل للرابطة الدينية لإثارة النعرات الانفصالية بينهم على أساس القومية، وكانت هذه القومية السبب الرئيسي لانفكاك الخلافة العثمانية، فقامت في تركيا الدعوة القومية الطورانية، وفي المناطق العربية الدعوة إلى القومية، فنشأت في تركيا الفتاة التي دعت إلى قومية تركية منفصلة والقضاء على الرابطة الدينية التي كانت أساس الخلافة العثمانية.

وتزعم القومية العربية نصارى الشام، وخاصة لبنان أيام الحكم العثماني.

**بداية الفكر القومي**

ظهرت بداية الفكر القومي في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، عن طريق حركات سرية في عاصمة الخلافة العثمانية، ثم انتقلت إلى دمشق وبيروت.

عقد أول مؤتمر عربي في باريس ١٩١٣م، وتصعد التوجه إلى القومية بنشاط الجمعيات الآتية:

١. الجمعية السورية، أسسها نصارى منهم بطرس البستاني،

وناصيف البازجي ١٨٤٧م في دمشق.

٢. الجمعية السورية (بيروت) أسسها نصارى منهم سليم البستاني ومنيف خوري ١٨٦٨م.

٣. الجمعية العربية السورية ١٨٧٥م، وانتشرت لها فروع.

٤. جمعية حقوق الملة العربية ١٨٨١م تهدف إلى وحدة المسلمين والمسيحيين.

٥. جمعية رابطة الوطن العربي، أسسها نجيب عازوري ١٩٠٤م وألف كتاب "يقظة العرب".

٦. جمعية الوطن العربي، أسسها خير الله خير الله ١٩٠٥م بباريس. ونشرت أول كتاب بعنوان "الحركة الوطنية العربية".

٧. الجمعية القحطانية ١٩٠٩م، أسسها خليل حمادة المصري، وهي جمعية سرية.

٨. جمعية العربية الفتاة، أسسها في باريس عام ١٩١١م طلاب عرب منهم محمد البعلبكي اللبناني.

٩. الكتلة النيابية العربية ١٩١١م.

١٠. حزب اللامركزية ١٩١٢م.

١١. الجمعيات الإصلاحية ١٩١٢م قامت في بيروت، ودمشق، وحلب، وبغداد، والبصرة، والموصل، وتكونت من أعيان المسلمين والنصارى.

١٢. جمعية المؤتمر العربي، أسسها الطلاب العرب في باريس ١٩١٢م.

١٣- حزب العهد، ١٩١٢م، جمعية سرية أنشأها الضباط العرب في الجيش العثماني.

١٤- جمعية العلم الأخضر، أنشئت عام ١٩١٤م في الموصل.

كانت الدعوة القومية محصورة في الأقليات العربية، ولم يشترك فيها المسلمون عامة، لكنها أصبحت تياراً عاماً بعد ثورة جمال عبد الناصر، الذي تبنى هذه الفكرة، وهو الذي وصف الخلافة العثمانية بالاستعمار، وأيد نصارى قبرص، وساند مكاريوس، وتيتو في يوغوسلافيا، وكاسترو في كيوبا، وحارب الحكام المسلمين.

يعدّ ساطع المصري(١٨٨٠- ١٩٦٨م) رائد القومية العربية، وأهم مفكريها، وله مؤلفات كثيرة في شرح الفكرة القومية.

تقوم القومية على أساس القربى والدم على حساب الدين، والعقيدة، ويصر بعض قادتها على إبعاد الدين، وهي دعوة جاهلية وضرب من ضروب الغزو الفكري الذي أصاب العالم الإسلامي، وهي صدى الدعوات القومية التي ظهرت في أوربا في القرن التاسع عشر.

ويرى دعاة الفكر القومي أن أهم المقومات التي تقوم عليها القومية العربية هي اللغة والدم، والتاريخ والأرض، والآلام، والآمال المشتركة.

ويرون أن العرب أمة واحدة، لها شخصية متميزة، وتعيش في أرض واحدة، وهي الوطن العربي الذي يمتد من الخليج إلى المحيط، ويدعو دعاة القومية إلى النظام العلماني، وتحرير العرب من

الخرافات والغيبيات والأديان.

شعارهم "الدين لله والوطن للجميع".

ويعتقد دعاة القومية أن الأديان والتقاليد المتوارثة عقبات في سبيل الوحدة، والتقدم، يجب التخلص منها، ويقولون: كنا عرباً قبل عيسى وموسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، ويرون أن الوحدة العربية حقيقة، والوحدة الإسلامية حلم.

قال أحد شعرائهم:

سلام على كفر يوحد بيننا
وأهلاً وسهلاً بعده لجهنم

ويرى بعض دعاة القومية أن القومية نبوة هذا العصر، وأن القومية ديننا نحن المسلمين والمسيحيين جميعاً ويجب أن نغار عليها كما نغار على ديننا.

# مفاهيم مختلفة للعلمانية

تعني العلمانية Secularism لغوياً اللادينية، جاء في دائرة المعارف البريطانية" العلمانية حركة في المجتمع تهدف إلى الانتقال من عالم الآخرة إلى عالم الأرض".

كانت العصور الوسطى عصور غلبة الكنيسة، وكانت المسيحية عبارة عن الفكر في الآخرة، والانقطاع عن الدنيا، وكان البحث الحر شجرة ممنوعة، وكرد فعل لهذه النزعة السائدة في العصور الوسطى، نشأت في عهد النهضة عند ما انتشر العلم، وأقبل العلماء على البحث الحر، نزعة خدمة الإنسانية، وتحقيق المنجزات الثقافية، والسعي للرفاهية في هذه الحياة، وترعرعت هذه الحركة للتركيز على أمور الحياة ومتطلباتها، وحاول بعض رجال الدين في المنتصف الأخير من القرن العشرين، تطوير الكنيسة تطويراً علمانياً، لكيلا ينحصر دور الكنيسة على العبادة وفكر الآخرة، بل يهتم الإنسان فيها بالأمور الدنيوية أيضاً، بحيث أنه يتمسك بقيم الكنيسة، ويخدم نفسه ومجتمعه مادياً، وترى هذه الطبقة من رجال الدين أن رسالة المسيح الحقيقية يمكن أن تُجدي نفعاً لبقاء الحياة المدنية العلمانية.

وفي عام ١٩٤٧م وافق الفاتيكان على أن يجمع المسيحي بين حياته الدينية وحياته الدنيوية، وفي عام ١٩٦٥م طالبت اللجنة

التابعة للفاتيكان المؤسسات العلمانية بأن تحتفظ بأصولها الدينية مع مسايرة العصر المتغير.

وجاء في قاموس أوكسفورد: تعني العلمانية أن لا يكون أساس الأخلاق والتعليم على الدين، ويعني ذلك إبعاد الدين عن الحياة العامة، وجعله مسألة شخصية، وفي الواقع العلمانية رد فعل لسيطرة الكنيسة وموقفها المعاند مع العلم في عهد سيطرتها على الدول، وهي نتيجة للانفتاح الفكري والتحرر عن القيود في أوربا والحركة العلمية الساحقة في عصر النهضة، وقد كانت الكنيسة أغلقت جميع أبواب الحرية، وتولى رجال الدين جميع السلطات، فكانوا يبيعون صكوك الغفران وقرارات الحرمان، ومرت أوربا بعهد طويل للاضطهاد الكنسي، وارتبط عهد سيطرة الكنيسة بالظلام، وسقط المئات بل الآلاف تحت مقاصل محاكم التفتيش وقساتها، غير من غيبوا في غياهب السجون، ولذلك فكر العلماء في عهد النهضة في فصل الدين عن الدولة، وحصر سلطان الكنيسة داخل جدرانها.

ويرى "وليام فاي كار" الكاتب الأمريكي أن اليهود هم وراء فصل الدين عن الدولة للقضاء على بقية الدين الذي حرفوا بتعطيله وحبسه عن المجتمع داخل جدران الكنيسة.

وقد كانت المسيحية قبل انتشارها في أوربا وسيطرتها على الدولة ديناً لا دولة، وشريعة استلام وخنوع لا تقدم للمجتمع قانوناً ولا نظاماً للحياة، وإنها كانت تهدف إلى خلاص الروح "دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله"، وظلت رسالتها خاصة بمملكة السماء لا

شأن لها بسلطان الأرض .

وفي القرون المظلمة تجاوزت الكنيسة حدود رسالة الروح ومملكة السماء ، فاغتصبت السلطة الزمنية أيضاً وأفضت على الدنيا قداسة الدين ، فحدث الانحطاط الحضاري وساد الجمود والتحجر.

وفي مواجهة الجمود ، والاضطهاد الكنسي نشأت في عصر التنور الأول حركة العلمانية للثورة على سيطرة الكنيسة ، على أساس العقل والعلم والتجربة ، محل الدين واللاهوت ، فعادت الكنيسة إلى حدودها الأولى وهي خلاص الروح ومملكة السماء ، وأصبح العقل والتجربة مرجع تدبير شؤون العمران الأساسي ، وانعزلت السماء عن الأرض.

ولدى دراسة تاريخ نشأة الفكر العلماني تتجلى الأسباب الآتية :

١. اضطهاد الكنيسة للعلم والعلماء وسيطرتها على الحكم.
٢. ظهور مبدأ العقل والطبيعة ، والدعوة إلى تحرر العقل ، واعتبار الطبيعة إلها.
٣. الثورة الفرنسية ١٧٨٩م وقيام أول حكومة لادينية ، تمنح الشعب حق اختيار منهج الحكم.
٤. التنوير إثر الثورة ، ووجود كتاب يدعون إلى الحرية ، كروسو ، وسبينوزا ، الذي يعتبر رائد العلمانية ، وله رسالة في اللاهوت والسياسة ، وفولتير صاحب "الدين في حدود العقل وحده" ووليم جودين صاحب "العدالة السياسية" وهو من دعاة العلمانية.

٥. نظرية التطور لدارون، وهي نظرية أدت إلى انهيار العقيدة الدينية والأخلاق والقيم.

٦. نيتشه صاحب نظرية سبرمان الذي يزعم أن الإله قد مات.

٧. دور كايم اليهودي الذي جمع بين حيوانية الإنسان وماديته.

٨. فرويد اليهودي، الإنسان في نظره حيوان جنسي.

٩. كارل ماركس اليهودي صاحب التفسير المادي للتاريخ وهو يعتبر الدين أفيون الشعب.

١٠. جون بول سارتر صاحب الوجودية أي الدعوة إلى الإلحاد.

**مفهوم الدين والدولة عند الغربيين :**

الدين هو التوجيه الروحي للأفراد أو صفاء النفوس من شرور المادة، والدولة والحكومة أداة لتنظيم العلاقات بين الأفراد.

وعلى هذا الأساس قال بعضهم إن الإسلام يخرج عن طبقة الدين ويدخل في مجال الإصلاح البشري لأمة ينظم العلاقات بين الأفراد، وقال الآخرون إنه دين لا شأن له في الأمور الدنيوية.

**دعاة الفصل بين الدين والدولة في العالم الإسلامي :**

عرض هذه الفكرة الغربية عن الإسلام " أنه دين ولا دولة" الأستاذ علي عبد الرزاق أحد علماء الأزهر في كتاب "الإسلام وأصول الحكم" .

ويخلص الكتاب إلى أن الإسلام دين فقط وأن ما يدعو إليه من وحدة بين المؤمنين هو وحدة دينية لا وحدة في الحكومة، أو في الدولة، أو في الترابط السياسي والعلاقات العامة.

ويفرق صاحب الكتاب بين الدولة الروحية والولاية المادية، فيقول: ولاية الرسول على قومه، ولاية روحية منشؤها إيمان القلب، وخضوعه خضوعاً صادقاً يتبعه خضوع الجسد.

وولاية الحاكم، ولاية مادية تعتمد إخضاع الجسد من غير أن يكون لها بالقلب اتصال، تلك ولاية هداية إلى الله وإرشاد إليه، وهذه ولاية تدبير لمصالح الحياة وعمارة الأرض، تلك للدين، وهذه للدنيا، تلك لله، وهذه للدين، تلك زعامة دينية، وهذه زعامة سياسية بإقصاء الدين عن الدولة، وحصره على الشعائر الدينية التعبدية.

**دعوة مسايرة الغرب ثقافياً :**

وجهت الدعوة علناً إلى الاقتباس من الغرب، ليس في العلوم، بل في الثقافة حتى في الأكل والشرب واللباس اقتباساً كاملاً، واتخذت إجراءات لتسهيل هذه المحاكاة بتغيير القانون، ونظام التعليم والتربية، وكان من رواد الدعاة إلى هذا الاقتباس "طه حسين" الذي يقول في إحدى كتاباته الفرنسية التي نقلت إلى العربية:

"لقد التزمنا أمام أوربا أن نذهب مذهبها في الحكم، ونسير سيرتها في الإدارة، ونسلك طريقها في التشريع، والتزمنا هذا كله أمام أوربا، وهل كانت معاهدة الاستقلال ١٩٣٦م ومعاهدة إلغاء الامتيازات ١٩٣٨م إلا التزاماً صريحاً قانعاً أمام العالم المتحضر بأننا نسير سيرة الأوربيين في الحكم والإدارة والتشريع".

**تأثير الفكر العلماني على العالم الإسلامي :**

كان تحديد الدين على الحياة الشخصية وفصله عن الحكم في

العالم الإسلامي وسيلة لإقصاء الإسلام عن النفوذ على المجتمع، وبذلك زالت الفوارق بين المسلمين الذين هم في أغلبية وغير المسلمين كالنصارى واليهود، ووصلت هذه العناصر إلى المناصب العليا، وفرضت سيطرتها على النفوس، وأتيحت لها فرصة كاملة لنشر أفكارها، كما كانت وسيلة لاستيراد الأفكار الغربية، ونشر الكتب المعادية للإسلام وإدخالها في مدارس العلم والتعليم، وأسندت مناصب عليا في الجامعات والكليات إلى عناصر معادية للإسلام، وأصبح الإسلام في بلاد الإسلام هدفاً لطعن الطاعنين، وقامت الحكومات بحمايتهم باسم حرية التعبير، وحرية الرأي والعلمانية للدولة، واختارت بعض البلدان التي كان لها تاريخ مجيد سياسات معادية للإسلام باسم العلمانية كتركيا، ومصر، وسوريا، والعراق، والجزائر، واختيرت العلمانية كمبدأ لنظام الحكم، ونظام التعليم، والإعلام والثقافة في سائر أنحاء العالم الإسلامي كمصر وتركيا، وسوريا، والجزائر، وأماكن أخرى، وأخرج من دساتير هذه البلدان الإسلام كأساس الدستور، وأصبحت العلمانية شعاراً للدولة، وبذلك فتحت أبواب الثقافة الأوربية الغازية والأفكار الملحدة وأتيحت فرص نشر النزعات المادية والإباحية، وقامت الحكومات القائمة في ظل العلمانية بحماية هذه التيارات المعادية للإسلام، وفرضت القيود على أصحاب الاتجاهات الدينية، وتم إقصاء حاملي هذه الاتجاهات عن مواضع النفوذ، وفرض الحظر على الحركات والأحزاب التي تحمل الاتجاه الديني، وسدت الطرق

أمام اشتراكها في الانتخابات ، وبذلك أغلقت الأبواب دون نفوذها في الحكم ، أو الوصول إلى البرلمان ، أو تشكيل النقابات والمؤسسات الاجتماعية الأخرى ، وامتنعت الحكومات العلمانية عن مساندة أي عمل له طابع ديني ، أو تحديد أي نشاط معارض للدين ، وفي هذا الفترة انتشرت في العالم الإسلامي المؤلفات والبحوث والتحليلات المعادية للإسلام التي أعدها المستشرقون وتلاميذهم من المتغربين ، وأحدثت هذه المؤلفات شكوكاً وشبهات في أذهان المثقفين عن الإسلام ، والقرآن والحديث والسنة والفقه الإسلامي ، وأثيرت الشكوك في أصالة هذه المصادر وسدادها لهذه العناصر ، وأثير الغبار على الشخصيات الإسلامية ، والمقدسات الإسلامية ، وكل ذلك تحت مظلة حماية حرية التعبير ، وحرية العقيدة العلمانية.

**العلمانية في غير البلدان الإسلامية :**

من المفارقات العجيبة أن العلمانية تعمل كعنصر تصالح بين الدين والدنيا في العالم الأوربي ودول ديمقراطية علمانية أخرى بما فيها الهند ، فلا يوجد فيها الصراع بين النظام العلماني والدين ، وبين الدين والعلم ، والسياسة ، بل تقوم فيها المؤسسات الدينية ، وتتمتع بحرية كاملة ، وتقوم بنشاطاتها ، وتبذل المساعي للوصول إلى الحكم بالأهداف الدينية ، وفي أوربا تمارس الكنيسة نشاطاتها التي تشمل جميع الخدمات العامة ، ويظهر وجودها في جميع المؤسسات ، ويدعم هذه النشاطات الزعماء السياسيون والقادة ، ويهيئون لها الوسائل المادية في الشعارات الدينية ، ولا تخلو الفنادق والمستشفيات ، ومرافق

الحياة الأخرى، من السفارات المسيحية، أو اليهودية، وقد دخلت التصورات الدينية في الأدب والفكر، كالتثليث والكفارة، وتصور الأب والأم، ويوزع الكتاب المقدس بالملايين، وتفتح مدارس تبشيرية برعاية الحكومات الأوربية، ويوجه ملايين من الراهبين والراهبات إلى مختلف أنحاء العالم، ولا يخفي الحكام الأوربيون حرصهم على نشر المسيحية ومكافحة الأديان الأخرى، وتصدر بيانات بتحويل دول العالم الإسلامي الفقيرة إلى دول نصرانية وتعكف دور النشر على إصدار كتب ضد الإسلام والأديان الأخرى، وتبث وسائل الإعلام الكراهية والعداء للإسلام والمسلمين في الصحف والمجلات، وتجعل كل مارد ومارق في العالم الإسلامي بطلا يحتفي به، وتهيئ له وسائل تأمين حياته وراحته في الدول الأوربية، وتعمل الشركات التجارية على تصدير بضائع تحمل شعارات تؤذي المسلمين وتجرح مشاعرهم، ويمنع المسلمون من اتباع تعاليم دينهم، والعمل على ثقافتهم، ورغم هذه السياسة تظل هذه البلدان علمانية.

أما العلمانية في العالم الإسلامي فهي سلاح لضرب الحركة الإسلامية، وتحديد النشاط الديني حتى المساجد والمدارس تتعرض للرقابة، وتصدر تعليمات بمنع ترميمها أو إصلاحها، وتغلق المدارس الدينية، ويراقب على نشاطات الدعاة والمصلحين، والمؤلفين في الموضوعات الدينية، وبلغ الأمر في تركيا حد مصادرة شهادات الجامعات الإسلامية، وإغلاق المدارس الأساسية، فهل تختلف علمانية العالم الإسلامي وعلمانية مخترعي العلمانية في معناها ومدلولها؟

# الاشتراكية

واجه العالم الإسلامي غزو الاشتراكية بعد الاستقلال عن الاستعمار الغربي في الخمسينات بصفة عامة بعد أن قامت فيها ثورات باسم القومية، واختارت دول الثورة العربيةُ الاشتراكيةَ عقدياً كذلك، فبينما كانت الاشتراكية فلسفة علمية صارت تجربة عملية بالنسبة لهذه الدول التي تختارها، بنطاق واسع، أو بنطاق محدود، وحاولت بعض الدول التوفيق بين الاشتراكية والإسلام، وحاربت دول إسلامية أخرى الدين باعتباره منافياً لفكرة الاشتراكية، وقامت بإعدام رجال الدين وقمع كل اتجاه ديني كان سائداً قبل هذه التجربة، وزعم بعض القادة أنه لا يوجد تناقض وتعارض بينهما، وادعوا أن الإسلام أقرب إلى الاشتراكية لأنه دين المساواة، ويوجد فيه نظام لتوزيع الثروة، ولكن الاشتراكية سببت فعلاً للعالم الإسلامي وخاصة للعالم العربي، شقاء ومحنة كبيرة، وتضاعفت هذه المحنة باقتران القومية اللادينية والاشتراكية المادية، وكان الفكر الإسلامي والحركة الإسلامية الهدف الرئيسي للنزعتين، وقد ألقينا الضوء على ما طغته القومية على الإسلام والمسلمين.

وسنلقي في السطور الآتية نظرة على التجربة الاشتراكية في العالم الإسلامي، كانت نشأة الاشتراكية المعاصرة في أوربا كأكثر

المذاهب السياسية والفكرية كرد فعل، للنظام الرأسمالي، واستغلال أصحاب رؤوس الأموال لمذهب الحرية في الاقتصاد، والحياة، ووجود نظام الطبقات الغنية والفقيرة، وعدم وجود نظام أو مذهب أو دين يدعو إلى الإنصاف والعدل الاجتماعي، وازداد طغيان أصحاب رؤوس الأموال واستغلال بؤس العمال.

وأول من فكر في وضع الثروة في أيدي الحكومة "سمان" Simon (١٧٦٠- ١٨٢٥م) ويعتبر هو الفيلسوف الأول للاشتراكية المعاصرة.

وكان روبرت أوئن Robert Oven (١٧٧١- ١٨٥٨م) مفكراً ثانياً في صدد توزيع الثروة وحل مشاكل العمال.

وفكر Lowas Plon الفرنسي في امتلاك الحكومة للمصانع، وقد كانت جميع هذه الأفكار غير معادية للرأسمالية، وإنما كانت محاولات لحل مشاكل العمال ومكافحة الاستغلال.

أما فكرة الاشتراكية الثورية فترجع إلى "ماركس"، و"إنجلز" اللذين خاطبا العمال وأثارا فيهم نزعة العداء لأصحاب رؤوس الأموال، وقد نقل ماركس الاشتراكية عن الإطار الاقتصادي المحدود إلى نظام سياسي له منهج خاص في الفكر والأخلاق، والسياسة والعمل، وصارت الاشتراكية عقيدة ونظاماً.

"كارل ماركس" Karl Marx (١٨١٨- ١٨٨٣م) مفكر يهودي من أصل ألماني، وكان العهد الذي نشأ فيه ماركس تكتسح فيه تيارات فكرية واقتصادية لـ"آدم إسمت"، و"فولتير"، و"روسو"،

و"هيغل"، وكانت هذه الأفكار تدور حول الحرية، والانطلاق من القيود، وكانت تجري حركات التحرر في كثير من البلدان الأوربية، وكانت هذه المذاهب تدور حول الحرية من الدين، والاستغلال الطبقي، والصراع لنيل الحقوق.

وكان الدين في ذلك العصر يعتبر عقبة في سبيل التقدم والحرية.

ترجع الاشتراكية المعاصرة التي أحدثت ثورات في معظم البلدان في العالم، وكانت عاصمتها الفكرية روسيا، إلى "ماركس"، وأساس فكرة "ماركس" نظريته المادية الجدلية Dialectical Materialism.

نبعت من هذه النظرة نظرية الصراع الطبقي والتغيير المادي للتاريخ، والأحداث، ويعتقد ماركس استمرار الصراع من قبل الطبقات المضطهدة إلى أن يأتي إلى حيز الوجود النظام المثالي.

وهو النظام الشيوعي، والاشتراكية مرحلة من مراحل هذا الهدف المنشود.

طبقت نظرية "ماركس" على جميع مجالات الحياة حتى الثقافة والفن، وكان بينها وبين الفكر الديني عداء سافر، فقد اعتبر قادة الفكر الماركسي الدين العقبة الأولى في طريق الثورة الاشتراكية، ويدعو هذا الفكر إلى التجرد عن كل عقيدة، وتعليم، ويعلن معاداة كل صلة بالقديم، ولذلك يفرض الحظر على التعليم الديني، وتلعب وسائل الإعلام في ذلك النظام من أجل مكافحة الاتجاه الديني دوراً رائداً.

واعتبر ماركس نفسه الدين أفيون الشعوب، تخدر به العقول للإعراض عن معاناة البشر.

**الاشتراكية عدو الدين :**

وصف قادة الاشتراكية المعاصرة ماركس، ولينن، واستالين، إلى جورباتشوف، الدين أنه عدو الاشتراكية الأول، وفيما يلي نذكر بعض البيانات لقادة الاشتراكية :

قال ماركس : إن استئصال الدين من النفوس وهو النعيم الوهمي للشعوب، واجب تحتّمه سعادة الشعوب الحقيقية.

ودعا ماركس وانجلز في المانسنيفستو إلى الزندقة، وإنكار وجود الله، والاعتراف بالمادة وحدها أساساً للكون.

التزم لينن بتعاليم كارل ماركس، فأظهر عداءه للدين، فقال : إن العامل المتمدن الواعي الذي نشأ في بيئة صناعية وتأثر بحياة المدنية، ينبذ الثقافات الدينية، ويترك فكرة السماء للكهنة. والهراطقة الأتقياء، ليربح نفسه بحياة أفضل على الأفضل، وأن البرولتياي اليوم يؤيد الاشتراكية التي تتوسل العلم لمكافحة الخرافات الدينية، ولتجرد العامل من الإيمان بما بعد الحياة، لكي نحثه على النضال لبلوغ مستوى أفضل من العيش.

وقد استمر عداء الاشتراكيين للدين إلى هذا اليوم، ومنهم الاشتراكيون العرب الذين لا يكتمون إلحادهم بل يعتبرون ضرب الدين والقيم الخطوة الأولى لتطبيق الاشتراكية، ويتضح ذلك من بيانات زعماء الثورة الاشتراكية في الجزائر، واليمن، ومصر،

وسوريا، والعراق، وليبيا، وكثير من هؤلاء لا يحاربون الدين مباشرة، وإنما يحاربون رجال الدين والكتب الدينية، ويعاملون معهم معاملة أقسى من معاملتهم مع مرتكبي الجرائم الاجتماعية، فكانت النتيجة الأولى للاشتراكية الإلحاد والزندقة، ويحل أبطال الاشتراكية، ماركس ولينن، وغيرهم كل من تولى الحكم في الاتحاد السوفيتي محل المصلحين والربانيين، وفي الاقتصاد يهدف الاشتراكيون إلى تقييد حريات الفرد في الاقتصاد بتقييد الملكية، بحجة إشراك جميع أفراد الشعب في المنافع وإزالة الفوارق.

ومن أهم الوسائل التي تلجأ إليها الاشتراكية التأميم، يفقد فيه الفرد حق الملكية، ويصبح كل مرفق تابعاً للدولة.

وفي السياسة يقيدون حرية الفرد، فلا يسمح له أن يسمع أو يقرأ إلا ما تريده الدولة له، وظلت هذه القيود مفروضة في الدول الاشتراكية قبل انفكاك الاتحاد السوفيتي، وظلت الرقابة مفروضة على الإعلام، والعمل، والتعليم، ولا تزال هذه القيود مفروضة في الصين والدول التي تقتدى بها كبورما.

ولا يسمح في المجتمع العامل مهما كانت ظروف عمله، وأجرته، ومعيشته أن يطالب بتحسين ظروفه، أو يطالب فرد أو طبقة بحقوق إضافية، أو ينتقد سياسة الحكومة، مهما كان موضعه، ولا يسمح للأدباء والشعراء أن يعبروا عن أي تصور معارض للاشتراكية، ويجبر أصحاب الأقلام على تقديس زعماء الاشتراكية مهما بلغ من استبدادهم.

وبعد هذه القيود السائدة أخفقت الاشتراكية في أولوياتها، وهي رفع الإنتاج وتحسين الاقتصاد، ورفاهية الشعب، وقد أثبتت التقارير التي وردت أخيراً في الدول الاشتراكية التقليدية وجود نقص هائل في إنتاج المواد الغذائية، وقد بلغت حالة البؤس في الاتحاد السوفيتي أن قدمت الهند مساعدات لمواجهة النقص الغذائي فضلاً عن الدول الأوربية الرأسمالية التي تقدم مساعدات سخية إلى جميع الدول الاشتراكية في أوربا.

لقد اعترف الزعماء السوفيت أنفسهم الفشل في تحقيق الأهداف الاشتراكية وهجم "خروشوف" بعد توليه الحكم على استالين، وجعله مسئولاً عن التخلف الاقتصادي، وعند ما عزل خروشوف، وتولى الحكم المجلس الثلاثي، اتهم هذا المجلس خروشوف، بجعل البلاد متخلفة اقتصاديا.

واعترف "برزنيف" نفسه في عهده فقال في خطاب ألقاه في عام ١٩٧٥م إلى اللجنة المركزية والحكومة أنه يجب رسم سياسة اقتصادية جديدة للاتحاد السوفيتي، وقال إن إدارة الشؤون الاقتصادية هي أكثر المهمات تقصيراً ، وقال: إن مشكلتنا الاقتصادية هي زيادة الإنتاج والعمل في جميع الفروع.

وأخيراً وليس آخراً اتهم جورباتشوف الحكام السوفيت الذين تولوا الحكم خلال ثلاثين سنة ماضية مسئولين عن تخلف الاتحاد السوفيتي، والركود فيه، وأعلن إصلاحات في النظام الاقتصادي، والحرمات السياسية.

واعترف حكام الصين الحاليون بنقص في الفكر الاشتراكي وعجزه عن حل مشاكل الحياة المعاصرة، وقال إن فلسفة ماركس غير عملية، وأعلنوا الانحراف عن الفلسفة الأساسية لماركس.

ومثل هذا التصريح أدلى به فيدرل كاسترو رئيس كيوبا بعد أن ظهر فشل الاشتراكية التي طبقت في منطقة شاسعة من أوربا وآسيا خلال ستين سنة أولى، وأدت إلى خسائر في الأرواح والممتلكات، والكفاءات، وجلبت الويل والشقاء للبلدان التي طبقت فيها.

# الإسلام والاشتراكية

إن تعارض الإسلام مع الفلسفة الاشتراكية يظهر جلياً في ثورة الاشتراكية على الدين، وإنكارها بوجود الخالق، وتقديسها المادة، وجعل الإنتاج محور العمل، وتقييد حرية الفرد في الملكية والإنتاج، والإنفاق، ورفض القيم الخلقية، واعتماد هذا النظام على الرقابة، واتخاذ وسائل الكبت والعقوبات الاستبدادية.

يقوم الفكر الاشتراكي على أساس نظرية الصراع، وفكّ النظام، وهو فكر ثوري، تستمر فيه عملية قلب النظام القائم، ويدور فكر زعماء الاشتراكية حول مواطن الضعف، لاستغلالها من أجل قلب النظام، فيؤدي هذا الفكر إلى الشحناء، والبغض، والحسد، لمن هو أحسن منزلة، وأفضل حالاً، سواء كان في القوة، أم كان في الاقتصاد، ويصور من هو أفضل تصويراً موحشاً يبغضه عامة الناس، ويشاهد هذا الاتجاه فيما يكتبه الاشتراكيون من الأدباء والشعراء، وبيانات القادة السياسيين، ويقوم على أساس السلب بدلاً من العطاء، والكراهية بدلاً من الحب، ويؤدي تطبيق الاشتراكية إلى صياغة المجتمع صياغة جديدة تنتقل السعادة فيه من الأفراد إلى طبقة تنسب إلى الحزب الاشتراكي، ويخضع النشاط السلمي والصناعي والزراعي كله لتخطيط الدولة التي يمثلها أعضاء

الحزب الاشتراكي، وتنتهي فيه العلاقات القائمة بين الأفراد والأسر، و ينتهي التفكير الفردي في مسائل الحياة، ويخطط سياسة البلاد كبار أعضاء المكتب السياسي، وهو نوع جديد من الاستبداد والدكتاتورية، ولإيجاد هذا النظام الذي يفقد فيه الأفراد حريتهم، ويسرى كل نظام من النظم الحياة السياسية والاجتماعية حسب سياسة مخططة تدور حول قطب واحد، ويوجد نظام للمخابرات يتابع نشاط الفرد وفاعليته فيفرق بين المرء وزوجته.

لا يتصور في هذا المجتمع الذي شكله الفكر الاشتراكي رفع مستوى المعيشة لعدم إتاحة الفرص لنمو الكفاءات الشخصية، ولأنه ينزل جميع الأفراد الذين يتمتعون بصلاحيات وإمكانيات متفاوتة إلى مستوى واحد، ويتنافى ذلك مع طبيعة الإنسان، فقد فضل الله بعضاً على بعض، ومنَّ الله تعالى بإكرامه وبتفضيله بعض الناس على بعض، ولذلك فرض الله حقوق الفقراء على الأغنياء، والضعفاء على الأقوياء، وجعل نصيب الفقراء في فضل الأغنياء، وبيَّن الأجر للإيثار، والرحمة والعطف، والإنفاق في سبيل الله، وبهذا التصور المادي للاشتراكية وتسوية الجميع لا تتشكل الوشائج بين فرد وفرد، وبين أفراد الأسرة، فلا تتصور فيه الحقوق والمكارم من المناصرة والخدمة، والبذل والعطاء، والإيثار والرحمة، ولأن كل فرد يستوي فيه، ولا يحصل له إلا ما يسد به رمقه، فتسقط الزكاة، والصدقات، والبر، والتعاون على الخير لانتقال كل فائض إلى الحكومة، كما يسقط الحج، وأعمال الخير للعيش بالكفاف،

وملكية الدولة لكل مجال من مجالات العمل ، وكل مكسب من مكاسب الأفراد ، ويفقد الاندفاع في النفوس إلى الاستثمار ، وجمع الأموال ، والبحث عن مواقع الكسب ، فتنخفض نسبة الإنتاج ، فلا توجد الجمعيات الخيرية ، ولا يسمح بالسفر إلى الخارج ، ولا الحج ، ويقل عدد العازمين للحج من الدول الاشتراكية إلى حد مدهش.

يقوم المجتمع الاشتراكي على تصور مستقبل أفضل ، ولكن هذا المستقبل الأفضل لا يزال تصوراً رغم مرور ٧٠ سنة ، فإن البلد الذي جربت فيه هذه التجربة في عام ١٩١٧م لا يزال يعيش ليس في حرمان عن الكماليات ، بل في حرمان عن البضائع الاستهلاكية ، بينما تعيش الطبقة الحاكمة حياة برجوازية ، فقد كان "برزنيف" يعيش حياة الملوك ، والأباطرة وكذلك كان سلفه يتمتع بسلطة مطلقة ، وكان المثل الآخر رئيسا "بلغاريا" و"رومانيا" اللذين أفادت التقارير الصحفية عنهما بغرائب نعيمهما الذي كانا يعيشان فيه وأعضاء أسرتهما ، رغم البؤس المنتشر في البلاد.

النقد أو التعبير الحر عن الرأي محظور في النظام الاشتراكي ، ويعيش كل فرد في ظلام عن العالم الخارجي ، ويتبع سياسة زعماء البلاد دون تفكير ، ويجب عليه أن يؤيدها كلياً ، وقد تبعت هذه السياسةَ الدول الإسلامية التي قبلت الفكرة الاشتراكية ، فإنها بعد التجربة الاشتراكية طبّقَتْ النظام الاستبدادي ، في السياسة ، والتأميم في الاقتصاد ، فحرمت كثيراً من إمكانياتها ووسائل ومواهب البلاد الطبيعية بالإضافة إلى عناء شعوبها ، وخداعها بالوعود والشعارات

الزائفة ، وعمت السجون ، وكثر حصاد الرؤوس ، وأما المزارع والمصانع فهي في أسوأ حال من ماضي البلاد ، وتزداد القيود على الشعوب ، وكانت الانتخابات في النظام الاشتراكي لعبة ، لأن المنافسة الحرة محظورة ، ومعارضة مرشحي الحزب الحاكم معرضة للخطر ، ولا يقبل تعدد الأحزاب وتشكيل الأحزاب والجمعيات في هذا النظام ، و يجري انتخاب مرشحي الحزب الحاكم بلا مقابل ، وتكون النتيجة ٩٩ في المائة ، بل أكثر ، وانتخب عبد الناصر ، وحافظ الأسد وأنور السادات ، وهواري بومدين ، وشاذلي بن جديد وزعماء اشتراكيون آخرون بهذا الطريق.

لقد فشلت الاشتراكية في تحقيق جميع أهدافها المعلن عنها كالحرية والمساواة ، والمستوى الأفضل للمعيشة ، ومكافحة الاستغلال ، والتقدم ، وأن الطبقة الكادحة التي تقوم من أجلها الاشتراكية ، تزداد شقاء وحرماناً في النظام الاشتراكي كما أثبتت التجارب في الاتحاد السوفيتي ، ورومانيا ، وبلغاريا ، وألمانيا الشرقية.

أما المساواة فيوجد تفاوت بين أعضاء الحزب الاشتراكي وعامة أفراد الشعب ، وكان من أجل هذا الفشل رد الفعل العنيف الذي ثار في جميع الدول الاشتراكية ، التي ثارت على هذه الفلسفة ، والنظام ، وسقطت عدة حكومات مستبدة ، ويجري الآن كفاح لتغيير كل نظام يستند إلى الفكرة الاشتراكية ، وطالبت بعض هذه الدول بفرض الحظر على الشيوعية ومحو هذا اللفظ.

إن الإسلام يحقق الأهداف الحسنة التي ترمي إليها الاشتراكية

كالمساواة، ومكافحة الاستغلال، والاحتكار، واستبداد الطبقات العليا، وإزالة البؤس والشقاء، وتوزيع الثروة بطريق إيجابي، ولكل مجال من هذه المجالات تعليمات في الإسلام، وعمل بها الحكام المسلمون وأغنياؤهم وقادتهم، وشاعت هذه الطرق في فترات طويلة من التاريخ الإسلامي، وقد بلغت الحضارة الإسلامية التي أزيلت فيها الفوارق والفواصل بين مختلف طبقات الإنسان، وساد العدل الاجتماعي، ذروتها في العهود الأولى في التاريخ الإسلامي، وفي بعض العهود المتأخرة أيضاً، حيث عاش الحاكم بكسب يده، ونال الفقراء والضعفاء حقوقهم، وعاشوا بكرامة، ووردت بذلك تعليمات في القرآن والحديث، وهي واضحة، وأي تخلف وعدول عنها، يرجع إلى من لم يلتزم بالتعاليم حق الالتزام، والإسلام بريئ منه.

# الحرية والثورة

بجانب القومية والديمقراطية والاشتراكية غزي العالم الإسلامي بمصطلحات وأفكار غربية أخرى كانت في ظاهرها ساحرة، كان يبدو فيها كأنها حلول لمشاكل الإنسان المعاصر، أو دعوات إلى الإصلاح، لكنها في مضمونها كانت تحمل بذور الفساد الخلقي والاجتماعي، والخروج على الدين، كانت حسنة في جانب، وسيئة في جانب آخر، فأتت بثمار طيبة من جانب، ومرة من جانب آخر، أصلحت في جانب، وأفسدت في جانب آخر، وكان فيها مفهوم الحرية الشخصية، والثورة، والتسلية، والفن، والثقافة، والإنسانية، والتسامح، والتعايش، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، والتقدمية، والحداثة، والمعاصرة، والأصالة، والأصولية، ولكل مصطلح من هذه المصطلحات مضمونات حسنة وسيئة، لابد من التمييز بينها، ومن الناحية اللغوية أنها تحمل مفاهيم حسنة، ولكن شرحها ومفهومها في القاموس المعاصر والتجربة المعاصرة يختلف كثيراً عن مفهومها اللغوي.

ونستعرض هذه المصطلحات بإيجاز:

**الحرية:**

يدعي كل نظام من النظم المعاصرة احتضان مبدأ الحرية،

ويحملها شعاراً له، ويدعي الاشتراكيون كذلك باحترام الحرية، كادعائهم بمبدأ المساواة، ووضعت بعض الدول الحرية في دستورها، فينص الدستور على تأمين حرية التعبير، وحرية العقيدة، وحرية العمل، والملكية، والتصرف فيها، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي فرد، ووضع تصور الحرية في ميثاق حقوق الإنسان، و ميثاق الأمم المتحدة، ووضعت قوانين لها، وقد أسيء تصور الحرية في بعض النظم فمنح الإنسان الحرية المطلقة في حياته، وأفكاره، وسلوكه، لكنه في الوقت نفسه قيّد بالآداب والالتزامات التي قرّرها نظام الحياة في تلك الدول، فهو حر مثلاً في الأخلاق، والعقيدة، مقيّد في موقفه، ومسئوليته أمام دستور البلاد أو نظرية البلاد، وفي بعض الدول يتمتع الإنسان بالحرية الكاملة إلا في الأمور السياسية، ومثال ذلك أن الدول الأوربية تنتقد الدول الإسلامية بإلزامها الدين واحترام الدين، وقوانين رادعة لمخالفه، أو الطقوس الدينية، لكن توجد في أوربا دول تلزم الإلحاد، ونقد الدين، إنها تنتقد إلزام المرأة بالحجاب، لكنها فيها بلاد تلزم المرأة بطرح الحجاب، فيوجد تقييد الحرية، بشكل من الأشكال في جميع الدول.

وكان التصور الخاطئ للحرية الشخصية عقبة في سبيل إصلاح حياة الفرد، ووضع قوانين سلوكية لها.

ويختلف تصور الإسلام عن النظم المعاصرة في حرية الفرد، فإنه يضع حدوداً لها، ويفرض على الفرد واجبات وحقوقاً، فيحل له أشياء، ويحرم أشياء، ويضع عقوبات على مخالفة هذه التعاليم،

وقد بيَّن القرآن الكريم مأمورات ومنهيات الفرد، لإيجاد مجتمع سليم، لأن الفرد في الإسلام جزء من المجتمع.

**الثورة:**

كلمة يكثر استعمالها في العصر الحديث ومعناها قلب نظام الحكم، وتغيير الأوضاع الراهنة باشتراك الجماهير، وبدأ استعمال هذه الكلمة على كل محاولة لتغيير الأوضاع، وهو مصطلح غربي يستعمل للإصلاح وتغيير الواقع الفاسد، لكنه في التجربة ثورة على كل ما هو قديم، ومنه الأفكار والقيم، والنظام الاجتماعي، والاقتصادي، والمشاعر والميول، والعادات، وقد جرب العالم الإسلامي الثورة بحركة مصطفى كمال في تركيا، وحذا حذوه جمال عبد الناصر في مصر، ثم عبد الكريم قاسم في العراق، وكانت هذه الثورات كلها محاولات لإخراج المجتمع الإسلامي من أصالته، والقضاء على الطابع الإسلامي، والشرقي، وفرض الحضارة الغربية عليه، وأدت مثل هذه الثورات إلى نزعات إقليمية، والتغريب، والاشتراكية، وفقد الاستقرار في العالم الإسلامي، بحركة الثورة، وقد كانت الثورات باسم الحرية، وإصلاح الفساد، لكنها أدت إلى القمع والكبت، لأن رجال الثورة كانوا دائماً في ظل الخوف من الثورة المضادة، فعكفوا على سد كل باب ومنفذ يخشى أنه يؤدي إلى إضعاف كيانهم، وكانت معظم هذه الثورات التي قامت في البلدان الإسلامية نابعة من قيام ضباط صغار في الجيش بالثورة، ولم يشترك فيها الجماهير، وتوجهت عناية هؤلاء الزعماء إلى محو كل آثار

القديم، أو مكافحة كل من له وزن في المجتمع، لكيلا يكون خطراً على الضباط الصغار، فأدت هذه الثورات إلى تشريد، وقتل، وقمع للحريات، و عدم الثقة في الجماهير، ومنعها من استعمال حقها، وقد وضع زعماء الثورة الثورة الفرنسية أمامهم كنموذج. فانغمسوا في إراقة الدماء وتصفية كل معارض لهم، وفرض نظامهم بالقوة وسد كل باب للتغيير.

# التطور والارتقاء

من أخطر المذاهب الفكرية مذهب التطور الذي كان له تأثير على السياسة، والاجتماع، والأخلاق، وكان الدين أكبر هدف له.

صاحب هذا الفكر تشارلز داروين، وهو باحث إنجليزي، نشر في سنة ١٨٥٩ كتابه "أصل الأنواع"، ناقش فيه الطريقة في النشوء، والارتقاء، وظن أن أصل الحياة البشرية خلية كانت في مستنقع قبل ملايين السنين، وتطورت هذه الخلية، ومرت بمراحل، منها مرحلة القرد، وانتهاء بالإنسان، وبذلك هدم فكرة وجود الإنسان من آدم وحواء.

وعلاوة على هذا التصور عن وجود الإنسان يدعو هذا المذهب إلى تصور الانتقال من الأحط إلى الأرقى، وإلى التحسُّن المستمر.

وإن العامل المؤثر هو الطبيعة، وهي التي تعطي وتحرم بدون خطة مرسومة.

ويرى أصحاب هذا المذهب: أن المخلوقات الحية وجدت في مراحل مختلفة، ولم توجد دفعة واحدة، وأن كل موجود مرتبط بما سبقه.

**تأثير هذا المذهب:**

كان الناس يدعون إلى حرية الاعتقاد بعد الثورة الفرنسية،

لكنهم بعد هذا المذهب أنكروا الدين.

طغى هذا المذهب على التصورات الدينية لآدم وحواء، والجنة والنار، والخطيئة وآثارها، وغير ذلك من الأفكار الدينية.

أدت هذه النظرية إلى تقديس المادة، واعتبار الطبيعة أصل كل شيء، فقد قال داروين: "الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق".

قضى هذا المذهب على البحث في الغاية والهدف للإنسان لأن صاحب هذه النظرية أوجد الصلة بين الإنسان والقرد.

أهملت العلوم الغربية المستندة إلى هذا التصور فكرة المغيبات، لأنها لا تأتي في دائرة عمله.

حدثت بتأثير هذا المذهب الفوضى الفكرية، ونشأ صراع بين مختلف الطبقات، وطغت الطبيعة الحيوانية على الإنسان، لأن "داروين" زعم أن الإنسان حيوان كسائر الحيوانات، مما هز المشاعر والمعتقدات.

وأن الإنسان مرآة تنعكس عليها تقلبات للطبيعة المفاجئة، وأحدث هذا الاعتقاد أن كل حال خير من ماضيه.

وقد استمد "ماركس" من نظرية "داروين" مادية الإنسان، وجعله مطلبه في الحياة الحصول على الغذاء، والسكن، والجنس، لا غير.

واستمد "فرويد" من هذه النظرية حيوانية الإنسان في الجنس وجعل محور سلوك الإنسان الدافع الجنسي.

ومن هذه النظرية أخذ بعض الفلاسفة تصور التغير وعدم

الثبات، وجعله كل شيء (ومنه الأخلاق) قابلاً للتطور.

**دور اليهود في نشر هذه النظرية:**

كان "داروين" نصرانياً، ولكن اليهود نشروا فكره، لأنه خدم مصالحهم، وأقر اليهود في "بروتوكولات حكماء صهيون" لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء"ولاحظوا هنا أن نجاح "داروين" و"ماركس"، و"نيتشه"، قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي. سيكون واضحاً لنا على التأكيد".

واعتبر "دار وين" من أعظم محرري الفكر البشري، ووصف بأنه قاهر للطبيعة، ووضع مقابل الكنيسة، والفكر الديني، وقد انتشرت هذه النظرية بسرعة فائقة لاعتماد الناس في ذلك العصر على العلم، ولاعتبارهم الفكر الديني عدواً للعلم، وميلهم إلى الحرية الخلقية، ثم انتقد بعض الباحثين هذه النظرية فوصف بعض العلماء أن نظرية "داروين" خرافة.

# الماسونية

الماسونية كما يعرضها أصحابها هيئة غرضها محبة الإنسان، والحكمة، والفلاح، وممارسة التعاضد، والإصلاح المادي والأدبي، والإتقان، وعمل الخير، ومن مبادئها التسامح، وحرية الضمير المطلقة، والتضامن البشري، وشعارها: الحرية، والرخاء، والمساواة.

ولكن الماسونية في الأصل حركة النفاق، فقد صرح "كلافل" وهو من أقطابها البارزين حين يوصي الماسونيين، إن أراد إخواننا الماسونيون أن يدخلوا أحداً في معيتنا، فعليهم أن يقولوا لكل شخص ما يوافق حاله وعقله، وميوله، ليجذبوه بما يوافق هواه، فإن كان من أهل الفضول لمعرفة الأسرار قالوا له: إن في الماسونية أسراراً، لا يعرفها غيرهم، وإن كان من أهل التجارة والصناعة أغروه بالربح وزيادة عدد المستهلكين.

وبهذا الطريق يوهمون الناس بأنهم دعاة خير ومحبة، وأن غايتهم إنسانية، ولكن الماسونية لها أهداف خفية، لها تشريحات مختلفة، ولذلك تختلف الآراء عن نشأتها، فيقال: إن الماسونية من أسرار قدماء المصريين، ورثها عنهم موسى، وهارون، ومنهم انتقلت إلى داود وسليمان.

ونظراً لما أضفاه اليهود على الماسونية من أسرار فإن المؤرخين لم يتفقوا على قول واحد حول أصل الماسونية، فمنهم من يقول إنها أنشئت في أيام اليونان في الجيل الثامن قبل الميلاد، ومنهم من يقول إنها أنشئت في هيكل سليمان، ومنهم من يرجع إلى أقدم من ذلك إلى الكهانة المصرية.

ولكن القول الذي يعتبر أقرب إلى الحقيقة هو أن هذه الحركة نشأت في أوائل النصرانية، لمناصبة الدين المسيحي.

ويقول الأستاذ عوض الخوري في كتابه "تبديد الظلام" إن مؤسس القوة الخفية التي انقلبت إلى الماسونية عند تجديدها هو "اكريبا" وهو هيرودس الثاني، والي اليونان، على بعض مناطق فلسطين من عام ٣٧- ٤٤م، وكان يهودياً مغالياً، يرى حق الحياة محصوراً على شعبه المختار، ولا يقبل معذرة إله إسرائيل بإيجاد شعوب إلا إذا كانت مستعبدة لإسرائيل، بل هو غاضب على الإله نفسه لأنه لم يهدم جدار الرسالة التي جاء بها السيد المسيح.

وفي عام ٤٣م راجع طواغيت اليهود ملكهم هيرودس الثاني حول انتشار المسيحية، فاقترحوا على الملك تأسيس جمعية باسم "القوة الخفية" ليقابلوا المسيحية.

وفي الاجتماع الأول خطب هيرودس قائلاً: إن الغاية من جمعيتنا هي إرجاع العالم إلى اليهودية، وسحق تعاليم المسيح، وقال: على المؤسسين أن يقوموا بالقتل وصنع كل محرم في سبيل حفظ الكيان اليهودي.

وبعد ظهور الإسلام قاومه المسئولون عن القوة الخفية كما قاوموا المسيحية.

نقدم فيما يلي تعريفاً موجزاً للماسونية نقلاً من "الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة" للندوة العالمية للشباب الإسلامي.

**التعريف**

الماسونية لغة معناها البناءون الأحرار، وهي في الاصطلاح منظمة يهودية سرية إرهابية غامضة محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد، جل أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم يوثقهم عهد بحفظ الأسرار ويقومون بما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام.

**التأسيس وأبرز الشخصيات**

لقد أسسها هيرودس اكريبا(ت٤٤م) ملك الرومان بمساعدة مستشاريه اليهوديين:

- حيرام أبيود: نائب الرئيس
- موآب لامي: كاتم سر أول
- ولقد قامت الماسونية منذ أيامها الأولى على المكر والتمويه والإرهاب حيث اختاروا رموزاً وأسماء وإشارات للإيهام والتخويف وسموا محفلهم (هيكل أورشليم) للإيهام بأنه هيكل سليمان عليه السلام.

أما تاريخ ظهورها فقد اختلف فيه لتكتمها الشديد والراجح أنها ظهرت سنة ٤٣م وسميت "القوة الخفية" وهدفها التنكيل

بالنصارى واغتيالهم وتشريدهم ومنع دينهم من الانتشار.

- كانت تسمى في عهد التأسيس "القوة الخفية" ومنذ ١٧١٥م تسمت بالماسونية لتتخذ من نقابة البنائين الأحرار لافتة تعمل من خلالها ثم التصق بهم الاسم دون حقيقته.

تلك هي المرحلة الأولى، أما المرحلة الثانية للماسونية فتبدأ سنة ١٧٧٠م عن طريق آدم وايزهاويت المسيحي الذي ألحد واستقطبته الماسونية بهدف السيطرة على العالم، وانتهى المشروع سنة ١٧٧٦م، ووضع أول محفل في هذه الفترة "المحفل النوراني" نسبة إلى الشيطان الذي يقدسونه.

استطاعوا خداع ألفي رجل من كبار الساسة والمفكرين وأسسوا بهم المحفل الرئيسي المسمى بمحفل الشرق الأوسط، وفيه تمَّ إخضاع هؤلاء الساسة لخدمة الماسونية، وأعلنوا شعارات براقة تخفي حقيقتهم فخدعوا كثيراً من المسلمين.

**الأفكار والمعتقدات:**

يكفرون بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبيات ويعتبرون ذلك خزعبلات وخرافات .

يعملون على تقويض الأديان.

العمل على إسقاط الحكومات الشرعية وإلغاء أنظمة الحكم والوطنية في البلاد المختلفة والسيطرة عليها.

إباحة الجنس واستعمال المرأة كوسيلة للسيطرة.

العمل على تقسيم غير اليهود إلى أمم متنابذة تتصارع بشكل

دائم.

تسليح هذه الأطراف وتدبير حوادث لتشابكها.

بث سموم النزاع داخل البلد الواحد، وإحياء روح الأقليات الطائفية العنصرية.

تهديم المبادئ الأخلاقية والفكرية والدينية ونشر الفوضى والانحلال والإرهاب والإلحاد.

استعمال الرشوة بالمال والجنس مع الجميع وخاصة مع ذوي المناصب الحساسة لضمهم لخدمة الماسونية، والغاية عندهم تبرر الوسيلة.

إحاطة الشخص الذي يقع في حبائلهم بالشباك من كل جانب لإحكام السيطرة عليه وتسييره كما يريدون وهو ينفذ صاغراً كل أوامرهم.

الشخص الذي يلبي رغبتهم في الانضمام إليهم يشترطون عليه التجرد من كل رابط ديني أو أخلاقي أو وطني ويجعل ولاءه خالصاً للماسونية.

إذا تململ الشخص أو عارض في شيء تدبر له فضيحة كبرى، وقد يكون مصيره القتل.

كل شخص استفادوا منه ولم تعد لهم به حاجة يعملون على التخلص منه بأية وسيلة ممكنة.

العمل على السيطرة على رؤساء الدول لضمان تنفيذ أهدافهم التدميرية.

السيطرة على الشخصيات البارزة في مختلف الاختصاصات

لتكون أعمالهم متكاملة.

السيطرة على أجهزة الدعاية والصحافة والنشر والإعلام واستخدامها كسلاح فتاك شديد الفاعلية.

بث الأخبار المختلقة والأباطيل والدسائس الكاذبة حتى تصبح كأنها حقائق لتحويل عقول الجماهير وطمس الحقائق أمامهم.

دعوة الشباب والشابات إلى الانغماس في الرذيلة وتوفير أسبابها لهم وإباحة الاتصال بالمحارم وتوهين العلاقات الزوجية، وتحطيم الرباط الأسرى.

الدعوة إلى العقم الاختياري وتحديد النسل لدى المسلمين.

السيطرة على المنظمات الدولية بترؤسها من قبل أحد الماسونيين كمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ومنظمات الأرصاد الدولية، ومنظمات الطلبة والشباب والشابات في العالم.

والماسونية وراء عدد من الويلات التي أصابت الأمة الإسلامية ووراء جل الثورات التي وقعت في العالم، فكانوا وراء إلغاء الخلافة الإسلامية وعزل السلطان عبد الحميد، كما كانوا وراء الثورة الفرنسية والبلشفية والبريطانية.

لهم كثير من النشرات السرية وأقدم كتبهم كتاب (القوانين) تأليف د. جيمس اندرسون اليهودي طبع سنة ١٧٢٣م، وكتاب "الوصايا القديمة" سنة ١٨٣٤م، نسخها داود كاسلي.

**الجذور الفكرية والعقائدية :**

جذور الماسونية يهودية صرفة من الناحية الفكرية ومن حيث

الأهداف والوسائل وفلسفة التفكير، وهي بضاعة يهودية أولاً و آخراً.

**الانتشار ومواقع النفوذ:**

لم يعرف التاريخ منظمة سرية أقوى نفوذاً من الماسونية فهي :

لها نفوذ واسع في العالم من خلال الزعماء الذين اصطادتهم فأصبحوا كالدمى في يدها خوفاً على أنفسهم وعلى كراسيهم.

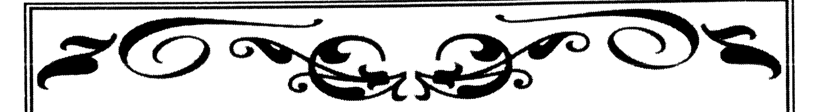
لها محافل في كل العالم تقريباً تستقطب هذه المحافل الشخصيات في كل بلد لضمان سيطرتها عليه.

تسيطر على كل الجمعيات والمنظمات الدولية ومنظمات الشباب لتضمن سير العالم كما تريد ولتضمن أن يكون القرار دائماً بيدها.

تسيطر على معظم وسائل الإعلام ودور النشر والصحافة في العالم.

بيدها أكثر موارد الاقتصاد ووسائل الإنتاج في العالم.

لهم عصابات إرهابية لتنفيذ العمليات الإجرامية للتخلص من كل من يقف في طريقهم عن قصد أو عن غير قصد.



## الفصل الخامس

# الصحوة الإسلامية

# وسائل التحرر من الغزو الفكري والثقافي الغربي



# الصحوة الإسلامية

قضى أقطاب الفكر الإسلامي مائة سنة تقريباً من منتصف القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين في الدفاع عن الإسلام، كان الإسلام فيها في قفص الاتهام، يواجه الافتراءات في التاريخ الإسلامي، وشكوكاً وشبهات في المصادر الأصيلة، من القرآن، والحديث، والفقه، واللغة، والأدب، ويُتَّهم بالعقم الفكري، والتخلف والجمود، والعنف، واتهم عهد الحكم الإسلامي بالفتن، والثورات، وسفك الدماء، واتهم الدين بأنه عامل تفريق وتشتيت وتحجُّر، وعرضت الفلسفات والنظريات الحديثة كحلول للمشاكل التي كانت تعانيها الإنسانية، فافتن به المثقفون بالثقافة الغربية، وجربت هذه النظريات في معظم الدول الإسلامية، وفرضت بالقوة.

وصمد في وجهها العلماء والباحثون الإسلاميون، وواجهوا شدائد في الدفاع عن الإسلام، ومثل الإسلام، والثقافة الإسلامية، والتراث الإسلامي العلمي والحضاري، حسب إمكانياتهم الضئيلة، وردوا على السهام الموجهة إليهم، وكان هذا التحفظ والدفاع رصيد الفكر الإسلامي ومنطلقه فيما بعد، لأنه حال دون التهام الفكر الغربي للإسلام، وقد لعبت المدارس الإسلامية والعلماء والدعاة

دوراً رائداً بطولياً في الاحتفاظ بالرصيد الإسلامي، ومعالجة المشاكل الحضارية معالجة علمية، وعرض الإسلام.

وحقق الإسلام العودة إلى معترك الكفاح، والتحدي للحضارة الغربية في السبعينات من القرن العشرين عندما واجهت القيادات المتغربة في العالم الإسلامي الفشل في جميع الميادين، السياسية، والاقتصادية، والعلمية، والدفاعية، وظهر أن الاعتماد على الغرب كان كالسراب أو الجدار الذي ينهار بأدنى هزة، وخذل الغرب هذه الدول الإسلامية في كل محنة أو معاناة بانتماء أغلبيتها إلى الإسلام.

انتعش الفكر الإسلامي في أعقاب حرب ١٩٦٧م حينما سقط القدس، وانهارت القوى العربية الثورية التقدمية، والاشتراكية القومية أمام إسرائيل المتعصبة القائمة على أسس التصور الديني الضيق، وسقطت القوى التي احتشدت في خمس عشرة سنة بعد أن فقدت البلدان العربية التقدمية أغلى نفوسها، وأهدرت كرامة عدد وجيه من الإسلاميين، وسخرت الأقلام للاستخفاف بالقيم، والتمجيد بالتقدم الحضاري، سقطت في أربع ساعات، ولم يبق للقيادات الثورية القائمة في مصر، وسوريا، والعراق، واليمن، إلا البكاء والتلاوم، سقطت في هذه التجربة الأولى الدول العربية القومية المتعالية على الدين، ورجال الدين، ولم تبد أدنى صمود في وجه الهجوم الإسرائيلي، وكادت إسرائيل تهدد القاهرة، وبغداد، ودمشق في وقت واحد.

كانت هذه الهزيمة نقطة انطلاق من جهات مختلفة، فزال الخليج بين تركيا والدول العربية، وقد كان قبل ذلك يقوم حاجز نفسي بينهما، وأبدت تركيا استعدادها لفتح مضيق فوسفور، وقدم الملك فيصل بسخاء معونات للتعويض عن الخسائر الحربية، وإعادة البناء، فأزيلت الحواجز بين الثوريين والملكيين، ونال تصور التضامن الإسلامي القبول لدى من كان يرفضه كتصور رجعي، وانهارت في هذه الهزيمة النكراء جميع الشعارات، وسقطت الصداقات الغربية والشرقية، إنها كانت في الواقع هزيمة القوى الثورية الاشتراكية، فقد ظهرت فيها هتافات زعماء القومية العربية والاشتراكية، وظهرت نتائجها الوخيمة التي كانت أكبر من خيانات ١٩٤٨م، فقد خسر العرب فيه القدس، ومناطق سياسية من البلاد، ومواقع استراتيجية، كالقنيطرة، والجولان، واحتل الإسرائيليون الجانب الشرقي لقناة السويس، ووصلوا إلى نقط يهددون منها القاهرة، ودمشق، وما أغنى الثوريين والتقدميين العرب آلهتهم في الدول المتحضرة، وحدث هذا الحادث المؤلم، ودعاة الإسلام في السجون، والصحافة الإسلامية محظورة، والكتب العربية محرمة، ولم تكن يسمع صوت إلا صوت الثورة، والتقدم، والاشتراكية، والعصبيات الجاهلية.

أيقظت هذه النكبات والكوارث الضمير الإسلامي، والغيرة الإسلامية، وأحدثت شعور الانتماء إلى الإسلام، ولم تغن الزيارات المتكررة إلى عواصم الدول الكبرى، ولم تقم بانتشال الزعماء الموالين لها من بحر المشاكل.

وظهرت في هذه الفترة أقلام استفادت من هذه التجربة، وعرضت الإسلام، وكشفت زيف النظم الجديدة، و أطلق سراح عدد من الإسلاميين من الزنزانات، وأطلقت بعض الحريات للتعبير، والنقل، فظهرت مؤلفات وتحليلات سياسية، كسبت تأييد الرأي العام، واتخذ الإسلاميون موقفاً حكيماً في هذه الظروف الحرجة، وواجهوها بنوع من الحلم والتسامح، بدلاً من الانتقام والشماتة.

وفي عام ١٩٧١م وقعت مأساة باكستان بانفصال الجزء الشرقي إثر مؤامرة عالمية ضد الوحدة الإسلامية، فوقعت هزة في العالم الإسلامي، وعرف العالم خطورة النزعة القومية واللغوية.

وفي عام ١٩٧٣م كسبت مصر نصراً جزئياً في الحرب مع إسرائيل، برفع هتاف "الله أكبر" وكان استخدام سلاح البترول ضد القوى المؤيدة لإسرائيل من قبل الملك فيصل بدهاء وحكمة، أنه يستطيع أن يجبر أكبر دول العالم، وعاشت أوربا في حالة رهيبة في هذه الفترة.

**عودة تركيا إلى الإسلام.**

بدأت مرحلة العودة إلى الإسلام في تركيا في عام ١٩٥٠م بتولى عدنان مندريس الحكم، وأجريت إصلاحات في النظام، وفتحت المدارس، وأعيد الأذان، ورفعت الحواجز على رجال الدين، ومنح السماح بتعليم القرآن الكريم، واللغة العربية، وفتحت المساجد.

ولكن بمؤامرة اليهود سقطت هذه الحكومة، وقام انقلاب

عسكري، وأعدم عدنان مندريس.

وفي عام ١٩٧٣م برز حزب السلامة الوطني بقيادة الدكتور نجم الدين أربكان، وفاز في انتخاب ١٩٧٧م، وعين أربكان نائب رئيس الحكومة، وعاد إلى تركيا هتاف "الله أكبر" والنشاط الإسلامي، وعقد مؤتمر السيرة النبوية في تركيا في ٣٠/يونيو ١٩٧٧م، وقام الانقلاب العسكري في ١٩٨٠م لمواجهة الثورة الإسلامية، قضى على الحكومة ذات الاتجاه الإسلامي، وألغي بعض إصلاحاتها، فاستأنفت تركيا طريق العودة إلى الإسلام والتودُّد إلى العرب.

وقد أنشأ رجب طيب أردوغان حزب العدالة والتنمية في بداية القرن الحادي والعشرين عام ٢٠٠١م، وتمكن الحزب من الوصول إلى الحكم في البلاد بأغلبية، وقد انتخب أردوغان رئيس تركيا في أغسطس من عام ٢٠١٤م بعد ما قضى ثماني سوات كرئيس الوزراء في تركيا.

**المنظمات والمؤسسات التي أنشئت لوحدة الإسلام والتضامن الإسلامي**

كان من تأثير هذه الأحداث عودة الثقة في أوساط الإسلاميين، وانكشفت لهم مواطن الضعف والوهن في القلاع الأوربية، وتحطمت أسطورة التفوق للأعداء، ووجهت دعوة إلى الوحدة الإسلامية، وأنشئت مؤسسات لتنسيق الجهود الإسلامية، وظهرت منظمات إسلامية كثيرة تمولها دول البترول العربية والمنظمات الطوعية التي تستند إلى تبرعات المسلمين، كان من

المنظمات الإسلامية العالمية التي أنشئت في هذا العهد .

**١- التضامن الإسلامي :**

عندما حلت نكبة ٥/يونيو ١٩٦٧م بدأت دعوة التضامن بكسب التعاون، وفي أعقاب إقدام العدو الصهيوني على جريمة إحراق جانب من المسجد الأقصى ٢١/أغسطس ١٩٦٩م، ثارت ردود فعل عنيفة في سائر أنحاء العالم الإسلامي، وشعرت القيادات الإسلامية بضرورة التضامن، ودعا الملك فيصل إلى مؤتمر قمة إسلامي، وانعقد أول مؤتمر إسلامي في تاريخ الإسلام بمدنية الرباط ٩/ رجب ١٣٨٩هـ/٢٢/سبتمبر ١٩٦٩م.

وانعقد أول مؤتمر لوزراء خارجية الدول الإسلامية في ٢٣/مارس ١٩٧٠م حيث تقرر إنشاء أمانة عامة للمؤتمر مقرها في جدة .

وعقدت فيما بعد مؤتمرات أخرى، كمؤتمر التضامن الإسلامي، ومؤتمر دراسة مشروع البنك الإسلامي في القاهرة، ومؤتمر مراكز الثقافة الإسلامية بالرباط، ومؤتمر دراسة مشروع وكالة الأنباء الإسلامية في طهران.

٢- منظمة المؤتمر الإسلامي :

كان الثوريون الاشتراكيون العرب يعارضون فكرة إنشاء منظمة باسم الإسلام، لكنهم استسلموا لهذه الفكرة الجديدة.

٣- صندوق التضامن الإسلامي : يتكفل المشاريع الإسلامية في العالم.

٤- رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة التي أنشئت عام

١٩٦٢م. كان لها دور فعال في منح الدعم المالي للمؤسسات الإسلامية في العالم.

٥- الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٦- منظمة للشباب والطلبة مقرها، الرياض.

٧- رابطة الجامعات الإسلامية، مقرها مراكش(المغرب).

٨- رابطة الأدب الإسلامي العالمية التي أنشئت عام ١٩٨٦م لإصلاح ما أفسده الأدباء الاشتراكيون ورد الهجوم على الإسلام أدبياً.

وأنشئت اتحادات للطلبة المسلمين والأطباء المسلمين و الاقتصاديين المسلمين والصحفيين، وعقدت مؤتمرات إعلامية في مختلف مجالات الفكر والعلم كمؤتمر السيرة العالمية، ومؤتمر التعليم الإسلامي العالمي، ومؤتمر الطب الإسلامي العالمي، ومؤتمر الإعجاز القرآني، ومؤتمر الدعوة بالإضافة إلى ندوات علمية حول مختلف الموضوعات الإسلامية.

وفتحت في كثير من الجامعات والمراكز الإسلامية شعب لتدريب الأئمة والدعاة، وفتحت مراكز إسلامية في الدول الأوربية لعرض الإسلام، والدعوة إليه، في مختلف لغات العالم في الدول الراقية، واعتنق الإسلام عددٌ من كبار العلماء والفلاسفة في الغرب، في مقدمتهم رجا جارودي، وموريس بكائي، ومراد هوفمان، و احتضنوا فكرة الإسلام، وهجموا على الحضارة الغربية، وكشفوا مساويها، وبكتبهم أصبحت كتب المتغربين المسلمين رجعية، وانكشف غباؤهم في فهم الحضارة وتبعيتهم

الفكرية، ولم يكن في استطاعة المتغربين المسلمين أن يردوا على كتب علماء الغرب المعترف بفضلهم من أوربا في الحضارة الغربية وعرضهم للإسلام كبديل له، وصدرت بأقلامهم مقالات وبحوث في تفنيد الحضارة الغربية والدفاع عن الحضارة الإسلامية، ونظمت لقاءات ومحاضرات وحوارات بين العلماء، وفتحت مؤسسات للبحث والتحقيق في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، كاستانبول، وعمان، والكويت، وقطر، والرياض، والقاهرة، وتونس، والجزائر، والرباط، وقامت اتحادات للطلبة المسلمين في أوربا لنشر الإسلام، تنظم لقاءات وندوات.

قامت في مختلف أنحاء العالم الإسلامي مجامع للبحوث العلمية من زوايا مختلفة كانت منها المجالس العلمية الآتية:

١. المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي، ورسالة المسجد، مكة المكرمة.
٢. مجمع البحوث الإسلامية للأزهر بالقاهرة.
٣. مؤسسة آل البيت، ومجمع بحوث الحضارة الإسلامية، عمان، الأردن.
٤. معهد المخطوطات العربية، الكويت.
٥. لجنة الترجمة والتأليف، تونس.
٦. إحياء التراث الإسلامي، قطر.
٧. ملتقى الفكر الإسلامي، الجزائر.
٨. جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا.

بالإضافة إلى عدد من المجامع والمؤسسات العلمية الإسلامية في البلدان غير الإسلامية ، قامت عدة جامعات إسلامية ، ومعاهد الدراسات الإسلامية .

كان من الجامعات المخصصة للدراسات الإسلامية التي فتحت في مختلف دول العالم الإسلامي بالإضافة إلى الجامعات الإسلامية القديمة كالأزهر ، والزيتونية ، والقرويين ، ودار العلوم ديوبند ، وندوة العلماء ذات الشهرة العالمية ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، جامعة أم درمان الإسلامية ، الجامعة الإسلامية في ماليزيا ، الجامعة الإسلامية في إسلام آباد ، الجامعة الإسلامية في الجزائر ، كلية الشريعة في دمشق ، كلية الشريعة في قطر. ولا تزال تفتح جامعات للدراسات الإسلامية في بلدان مختلفة .

لعبت الصحافة الإسلامية دوراً كبيراً في نشر الوعي الإسلامي ومعالجة القضايا الإسلامية ، والرد على الخصوم ، وقد صدرت الصحف الإسلامية في جميع الدول الإسلامية والدول التي يعيش فيها المسلمون بأقلية كبرى في لغات مختلفة ، ومنها صحف اتحاد الطلبة ، وصحف الأحزاب الإسلامية ، صحف المراكز الإسلامية ، وصحف شخصية .

لقد أزيلت الحواجز والعقبات التي كانت في طريق الإسلام منذ عهد الاستعمار الغربي ، وتم تصحيح كثير من المفاهيم التي كان قد علقت بالإسلام في عصور الانحطاط ، وأوجد الآن جو لفهم

الإسلام ، بل وجد إقبال شديد على الإسلام في العالم الإسلامي ، وإنها لفرصة طيبة لعلماء الإسلام أن يعرضوا الإسلام الصحيح في أسلوب معاصر في ضوء القضايا المعاصرة بطريق إيجابي ، وأن يعرضوا هذا الإسلام في حياتهم ، ويقدم الإسلام كأفضل عقيدة ، وأفضل نظام للحياة ، وقد تهيأ له الجو بعد قرون .

بدأ الإسلام يجذب القلوب ، فقد أسلم في عدة عشر سنوات ماضية عدد وجيه من العلماء وآلاف من غيرهم في مختلف أنحاء العالم ، وشوهدت آثار هذا الإقبال على الإسلام في الهند أيضاً ، حيث يوجد اتجاه إلى الإسلام من غير المسلمين ، ويسود نشاط تعليمي وثقافي في العالم ، وتؤسس مدارس ومراكز إسلامية ، وتصدر كتب وبحوث حول المواضيع الإسلامية في مختلف اللغات ، وكان من ميزة هذه الرياح المتغيرة أنها جذبت إلى الإسلام الشباب والمثقفين والعصريين ، وقد صدق من قال : إن الإسلام ينبعث في الجامعات ، والكليات ، ويظهر المظهر الإسلامي فيها أكثر مما يظهر في المؤسسات الدينية التقليدية .

كان الانتصار الذي حققه المجاهدون الأفغان وصمودهم ضد القوات السوفيتية وتصديهم للمؤامرات ضدهم والانتفاضة الإسلامية في فلسطين ، قد عزز الآمال في مستقبل الحركات الإسلامية وقدرة العاطفة الإسلامية على مواجهة الأعداء ، وقد فشلت الحركات التي قامت في العالم الإسلامي بالاحتراز عن الإسلام كمنظمة تحرير فلسطين العلمانية الاشتراكية الاتجاه والقومية

الغربيـة العلمانيـة، وكـل ذلـك أعـاد الثقـة في النفـوس، بالنـسبة للإسلام، وحمل على تجربة الإسلام.

وقد قامت ثورات في عـدد مـن البلـدان التي خـضعت للحكـم الاشتراكي، وحكمت البلاد والعباد بالقوة، وقامت بإقصاء العنصر الإسلامي، وكلفت هـذه الثورات خسائر في الأرواح والممتلكات، ولكهنا بمؤامرة أعداء الصحوة الإسلامية لم تـؤت ثمارهـا المطلوبـة أو أهدافها المنشودة لإقامة نظام بديل يطابق أغلبية الشعب الإسلامي.

**واجبنا في هذه الأوضاع الجديدة :**

لقد دخلنا في مرحلة الوعي، وبدأت الحركة الإسلامية حركة العـودة إلى الإسـلام، ولكـن هـذه المرحلـة تحتـاج إلى تـصور حـي للإسـلام يكـون تـصوراً متحركـاً مـع الحيـاة، منـسجماً مـع طبيعـة الظروف ومتناسباً معها حيث لا يطغى جانب على جانـب آخر، إن الإسـلام الـذي يقـدر علـى التغلـب علـى المـذاهب المعاصـرة، هـو الإسلام الحي المتناسق المتناسب، الشامل الـذي يتكـون مـن العناصـر الآتية :

١. عقيدة سليمة ثابتة مستمدة من القرآن والحديث الشريف.
٢. عبادة وتربية نفسية تثبت هذه العقيدة وترسخها.
٣. أخلاق وسلوك في الحياة الفردية والاجتماعية، وتأدية الحقوق والواجبات كعضو أسرة ومواطن صالح.
٤. علم بروح البحث والتحقيق والتدبير وبـذل الجهـد لتنقيـة المعرفـة مـن شـوائب الفكـر الغربـي، وأسـلمة المعرفة، والثقافـة، وربـط

العالم بالحياة وتطبيق الخبرة، والمعرفة على الحياة ورفع مستواها، وحل مشاكلها في ضوء المعرفة الإسلامية.

٥. تنظيم هذه الجوانب الفردية بحكم إسلامي عادل يقوم على الشورى، للرقابة على حياة الفرد والمجتمع، وإيجاد مجتمع صالح يشعر بالسعادة الحقيقية.

٦. دعوة لترسيخ الكيان العقائدي، والتصدى للعقائد الباطلة، والحركات الهدامة، واليقظة ضد المؤامرات الدولية ضد المسلمين.

٧. بذل الجهد المكثف المنظم لنشر المنهج الإسلامي، وإقامة العدل بين الناس، ووقاية المجتمع الإسلامي من الغزو الخارجي، وتأمين سلامة الحدود الفكرية والإقليمية للمجتمع الإسلامي.

٨. عقد الحوارات واللقاءات مع غير المسلمين المثقفين لإزالة الشكوك والشبهات عن الإسلام والمسلمين.

وستكون هذه الخطوات العملية ضماناً لبقاء الوعي الإسلامي، وحافزاً إلى تطبيق الإسلام، واللجوء إليه في المجتمعات غير الإسلامية.

# دعاة التغريب في العالم الإسلامي ووسائل التحرُّر من فكرهم[١]

يحتفل المسلمون في سائر أنحاء العالم بعام ١٤٠٠ من التقويم الهجري ، إنه ليس بمناسبة تقام فيها الأفراح أو يحتفل بها كيوم عيد، وإنما يستحق أن يعتبر يوماً يبعث على التفكير ومحاسبة النفس، يوماً لاستعراض مواطن الضعف والاستكانة ، والمكاسب والنكسات ، والتفكر في المستقبل .

**الاستعمار السياسي**

لقد شهد القرن الذي نحن على وشك إتمامه ، سقوط الإمبراطورية العثمانية على أعقاب الحرب الكونية الأولى ، وإنهاء الخلافة في ١٩٢٤م، وإعلان مصطفى كمال بأن تركيا دولة علمانية قومية ، و بها اكتملت مرحلة الانحطاط التي كانت قد بدأت بسقوط الأندلس ، ثم فرض علينا الحكم الأجنبي الاستعماري مثلما فرض على شعوب غير أوربية أخرى في العالم ولا نزال ننساق بخطى حثيثة ونندمج إلى تيار الحضارة الغربية الحديثة ، لقد انقضى عهد

---

[١] - للكاتبة الإسلامية مريم جميلة، وكان هذا المقال بالإنجليزية، نقله إلى العربية مؤلف الكتاب، ونشر في مجلة "البعث الإسلامي" بالأقساط، المجلد الرابع والعشرون، الأعداد: ٦- ١٠، ١٩٨٠م.

الاستعمار ، ولكنه لم يمنح السيادة السياسية إلا رمزاً ، فإن الاعتماد العسكري والاقتصادي لم يزل سائداً ، ومن الناحية الأيديولوجية والثقافية إننا مستعبدون اليوم أكثر مما كنا في الماضي ، وقد تعدت هذه التبعية إلى حد يهدد ذاتيتنا وشخصيتنا كمسلمين ، لقد وصل الغرب إلى حافة إفلاس روحي وخلقي يكاد يطوي بساطه ، وهو فرصة مواتية أخيرة لتحرير أنفسنا من العبودية الاستعمارية قبل أن تفتك بنا تلك الأمراض والأسقام التي يعاني منها الغرب ، إننا لا نزال نعتمد على تاريخ يؤلفه غيرنا لنا فلننهض لنكتب تاريخنا بأيدينا ، وأن نقود ولا نقاد ، كما يقاد العميان ، نخلق ونوجد ولا نقلد ونتبع.

يؤثر استعباد فكر ونظرية على نموها ، ونشأتها الطبيعية وترعرعها ، ويجرحها ويعطلها ، وقد تعيش كمعوق ، ولكنها لا تستطيع أن تزخر وتزدهر وتنمو نمواً مطرداً صحيحاً ، ويزداد كل يوم ضعفها ووهنها ، إن ما بين النظرية الحرة المطلقة والنظرية المستعبدة المقهورة ما بين الصحة ذات الحيوية والقوة المتدفقة ، والمرض الفتاك الخطير ، إن لم نقل ما بين الموت والحياة ، فإذا كانت المجموعة ذات نظرية مثل كائن حي ، فإن الأقسام المختلفة للحكومة التي تنشئها هذه المجموعة تشكل أعضاء ذلك الكائن الحي ، فإن استعبدت النظرية ، تغيرت أعمال سائر الأقسام التابعة لتلك الحكومة التي تسير في ضوء تلك النظرية ، واضطربت ، وكانت النتيجة الحتمية لذلك الاضطراب تضرر النظرية ذاتها واضطرابها ، وبالتالي يقف النظام التعليمي الذي يغذيها بدم الحياة كما يزود القلب الجسم

بالدم ، عن عمله ، ويصبح غريباً وأجنبياً ، بل ينقلب محارباً لها ، وإذا انقطعت تغذية تلك النظرية المستعبدة ، وألقيت عليها قيود ، سلبت الحرية ، وضاق خناقها ، وضعفت دوافعها ، ومناعتها ، بينما تتقوى و تتدعم دوافع النظرية الغازية سواء بسواء، وبذلك تبدو النظرية الغازية أقوى وأمتن حيوية بالنسبة لتلك النظرية المقهورة المقيدة المكبوتة.

**العبودية والرق**

إن العبودية والرق شقاء أكبر يعاني منه فرد من الأفراد، وهو عائق كبير ، وحاجز ضخم يعترض في سبيل نشأته ، وثقته بالنفس، وإنه يخدم أعداءه ولايتقاضى نظير خدمتهم سوى قطعة خبز، ويساوم وجوده الطبيعي ، ويبيع ضميره وشرفه، ولكن قليلاً من العبيد من يشعر ما يخسره، إنه يعتبر فرصة الحياة التي تتاح له منة عليه وإحساناً ، فلا يمكن أن يتوقع من أمثال هؤلاء العبيد أن يقوموا بعمل خلاق عال ، سواء أ في ميدان العلم والفن ، أو الفلسفة ، كذلك الشعوب ما دامت تتمتع بحرية ، تخترع وتكتشف وتوجد ، وتزيد من معرفتها وتضيف إلى معارف العالم ، وإذا أصبحت فريسة للاستعباد انقطع اختراعها ، وكفاءتها التخليقية ،إن الذاتية ودوافعها للتطور والنمو لا تنشأ ولا ترتقي إلا في جو الحرية المطلقة، وقد أصيب الذين ساهموا في المعرفة الإنسانية في الماضي عند ما كانوا أحراراً ، بالجمود والتعطل بعد ما استعبدهم غيرهم ، فتغيرت طبائعهم ، وزالت عنهم الدوافع إلى العمل والابتكار ، وعجزوا أن

يضيفوا شيئاً إلى ما أسهم به سابقوهم ، إن العالم لا يستطيع أن يؤول ما هو السبب لموت القريحة رغم السلام والتعليم التي كانت وقادة متفتحة عامرة، ومن سوء الحظ للعبيد أنهم لا يدركون الآثار السيئة التي تتركها العبودية على فكرهم ([1]).

**الاستعمار الثقافي**

إن عواقب الاستعمار الثقافي الذي حل اليوم محل التدخل السياسي المباشر ، أكثر خطراً ، مما كان الاستعمار السياسي يتضمنه في الماضي ، فإن الغرب اليوم يقوم بتصدير مثله ، وقيمه ، وبتعبير أصح ، إباحيته وعدم تقيده بالقيم ، إلى العالم الإسلامي بوسائل الأفلام المستوردة ، وبرامج الإذاعات المسموعة والمرئية بالإنجليزية ، واللغات المحلية معاً ، بالإضافة إلى نشر كتب كثيرة يؤلفها المستشرقون والخبراء لتشويه وجه المسلمين وتراثنا الإسلامي ، ويحمل هذا الغزو الثقافي الذي يجري عن طريق وسائل الإعلام العام تأثيراً لتدمير طرق حياتنا الأصيلة ما يفوق في أضرارها وعواقبها أضرار نظام التعليم وحده ، لأن نظام التعليم كان يؤثر على طبقة محدودة من الأثرياء الذين كانوا يتحملون نفقات التعليم في عهد الاستعمار ، أما وسائل الإعلام الحديثة فإنها تؤثر على الجماهير المتعلمين منهم وغير المتعلمين والفلاحين والعمال جميعاً .

"تهتم الثقافة الأجنبية قبل كل شيء بإزالة شعور الغربة

---

[1] أيديولوجية المستقبل، محمد رفيع الدين، مطبعة دين محمدي، كراتشي ١٩٥٦م ص: ٢٧٠- ٢٧١- ٢٩٩

والوحشة من قلوب الذين تغزوهم بالنسبة للثقافة الأجنبية ، وتغرس فيهم الأنس والألفة إزاء الكتب التي يؤلفها مفكروها ، والأفلام التي ينتجها مخرجوها ، ليتأكد المقهورون بالثقافة الأجنبية أن هناك أوجه شبه كثيرة ومماثلة كبيرة بينهم وبين الغزاة ، فلا يترددوا في الاختلاط بهم ، وإنشاء علاقات عائلية عن طريق الزواج والصداقة معهم ، ومن الأسبقيات في رفع الحواجز بين الغزاة والمقهورين ، والتي يجب أن يحققها الغزو الثقافي ، كسر حاجز اللغة أو اجتيازه ، وتقوم بهذه المهمة الإذاعات الخارجية ، فتقدم برامج مفضلة حسب أذواق المقهورين في لغتهم ثم ينشئ غزاة الفكر خدمات الاستعلامات التي توزع منشورات ، وأفلاماً ، وينشئون مكتبات ، و يعرضون رقصات وبرامج الموسيقي ، ولذلك يوجهون الدعوة إلى رجال الفن والرياضيين من بلادهم لعرض برامجهم ، وتمثيل ثقافتهم ومجتمعهم وبهذه الطرق يتلاشى الخوف والشعور بالغربة والوحشة إزاء الثقافة الأجنبية ، وتزول الشكوك والريب" .

**تغريب الشباب**

ثم تأتي المرحلة الثانية من الغزو الفكري ، وهي مرحلة دعوة الشباب والأحداث والطامحين من هذه البلاد إلى زيارة بلاد الغزاة ، وفي هذه المرحلة تعرض على الزوار الجوانب اللامعة والساحرة التي تخلب الفؤاد ، وتجذب القلب وخاصة للشباب ، فتنتخب مواقع ومواضع خاصة مؤثرة للزيارة ، ولا يسمح لهم بالاقتحام داخل البلاد ، لكي لا تقع أنظارهم على الجوانب المظلمة للمجتمع ، ولا

مظاهر القلق والشقاء الذي يعاني منه المواطنون العاديون لتلك البلاد، ولا مواقع القهر والفساد ، والظلم والاستبداد ، وعدم المساواة التي تعم وتتوفر داخل المجتمع ، فيعود الزوار مرتاحين واثقين بأن بلاد العدو نموذج حي للثقافة العالية ، والحياة الروحانية وأنها خير أسوة لبلادهم .

يختار الغرب من بين السياح والطلبة الذين يزورون بلاده، أكثرهم شغفاً و امتناناً بالمجتمع الغربي، وأكثرهم كراهية لمجتمعه الأصيل، فيصطاد أمثال هؤلاء الطلبة والسياح الذين يجذبهم المجتمع الغربي، وتسحرهم تلك الحضارة فيندمجون إليها سريعاً، ويختارون ثقافة العدو ويطبقونها على حياتهم الشخصية فيتكلمون بلغة العدو، ويرتدون بزي العدو ويقلدونه في الكلام والمعيشة، و يحذون حذوه في سائر أعمالهم، ويهتم العدو بتربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم فيهيئ لهم كتباً وجرائد ، ومناهج الدراسة ، في الكليات والجامعات، وما يزيدهم كراهية واشمئزازاً من ثقافتهم الأصيلة، وتكون سائر هذه المواد للدراسة التي تهيأ لهم محرفة وموجهة إلى إحداث تطور في الطلبة، فكرة وتصوراً معاكساً لمجتمعهم السابق ووطنهم ، لكي ينظروا إليها برؤية العدو ، ويقبلوا مقياسه للخير والشر ، والصالح وغير الصالح ، ثم الكتب التي توفر للطلبة ومناهج الدراسة تخلق مركب النقص في أذهانهم، والشعور بالتفوق فيما يتصل بالغرب ، وخلال هذه الفترة التي تستحق أن تعتبر فترة غسل الذهن وشحنه بأفكار جديدة، وتصور جديد للحياة ، لا يترك الطلبة على راحتهم

ليتعلموا النظريات والقيم الغربية ، كدروس ، وإنما تفرض القيم عليهم فتصبح جزءاً من أفكارهم ومعتقداتهم ، ويسمح للطلبة ـ بصورة موقتة ـ بأن يحتفظوا في ناحية من أذهانهم بمعتقداتهم القديمة المتصلة بالله ، والبعث بعد الموت ، وفي الوقت نفسه يجري تلقينهم بأن يعتبروا أنفسهم متخلفين غير متطورين غير مثقفين وغير علميين ومتوهمين رجعيين، وهي تعبيرات الإهانة والاستخفاف في ذلك المجتمع ، فينبعث منهم شعور خفي بأن يجتهدوا ليكونوا متنورين ، وتقدميين ولا يمكن ذلك بأي حال من الأحوال إلا إذا سلكوا الخط الذي يخطه لهم الغزاة التقدميون المتنورون.

تنفق الدول الغازية كميات هائلة من الأموال لتحويل هذه الرحلات ، وتغيير أذهان الشباب ، ويجري ذلك في ستار المساعدة التقنية والتدريب ، وبذلك ينقل الطلبة الطامحون إلى كليات وجامعات ومعاهد التدريب الأخرى الواقعة في بلاد الغزاة ، وتلقى عليهم محاضرات يعدها الأساتذة الأجانب بدقة ورعاية كاملة لأذهانهم، ثم تنظم لهم برامج لزيارة مشروعات ضخمة للأعمال الإنشائية والصناعية من مصانع الإسمنت، والطوب، والسدود والقناطر الرائعة.

ويبذل العدو خلال هذه الفترة كل ما في وسعه من حيلة ودهاء لمنع الطلبة من أن يسألوا عن قيمة الإنسان ، ومعنى الحياة وغرضها وغايتها ، وما هو الموت ؟ وما هو سبب تقديس حياة الإنسان وترجيحها على الكائنات الأخرى ، وعن الدخل القومي وأرصدة البنوك ؟ فلا يجيب العدو على مثل هذه الأسئلة التي قد يسألها

الطلبة خلال فترة التربية الذهنية ، مثلا ، ما هو موقف الإنسان من أسرته ، ونظام الحكم ، وهدف الحياة وغايتها ، ويأمل المدربون بل يفضلون أن ينسى الطلبة خلال فترة التربية الذهنية ، مثل هذه الأسئلة ، وهكذا تنقطع سائر الصلات القائمة بين الطلبة وبين القيم والمثل والأفكار التي توارثوها من ماضيهم الثقافي ، والاجتماعي ، فلا يتذكرون إلا تاريخ بلاد العدو ، ويعتبرون أبطال العدو ، أبطالهم ، وفي الواقع يصبحون عملاء عاقلين للعدو ، فيصبح شعورهم وتصرفهم ، وتعاملهم تبعاً لعدوه وتخطيطه طوعياً ، وينقلبون وكلاء للعدو ، ويبذلون ما في وسعهم لاستمالة شعبهم وبلادهم إلى أن ينتهجا الطريق الذي يخطه لهما العدو ، وإذا ساعد الحظ أحداً منهم أن يتمكن من الوصول إلى موقف قوة اقتصادية فإنه يعمل كوكيل ثقافي ويحول مراكزه ومحلاته التجارية إلى معارض الثقافة الأجنبية ، ومما يجدر بالذكر لأهميته أن العدو يستخدم سائر نفوذه وتأثيره مع البلد الذي يخضع لنفوذه ، ليصل إلى مواقع النفوذ والقوة كل من يعتبره العدو ممثلاً عنه ، وممتثلاً لأوامره ، ومحققاً لرغباته ، ويتم ذلك في بعض الظروف بطريق لا يتبينه عامة الناس ، وفي بعض الأحوال يضطر العدو إلى فرض نفوذه ويستخدم العنف ووسائل التأثير ، وقد يلجأ إلى عمليات الاغتيالات بغرض إبقاء عملائه وأعوانه في مواضع الحكم والنفوذ.

**تغيير الأذهان**

يراعي العدو في إعداد مناهج الدراسة ونظام التربية في بلاده

للوافدين من الخارج أن يتخرج من مدارسها رجال تتغير أذهانهم ، وتنقطع صلتهم عن تراثهم وحضارتهم وبلادهم كلياً ، وبالتالي يصبحون عملاء للعدو ، ويخدمون مصالحه ويؤدون المهام التي تسند إليهم ، والمسئوليات التي تلقى على عواتقهم في الجيش ، وفي المدارس ، والكليات ، ويعمل هؤلاء المتخرجون كالطابور الخامس في حالة تعرض بلادهم لغزو العدو ، فيتحولون إلى مساومين ووكلاء وعملاء ، وممثلين في الميدان الاقتصادي ، وتزداد مسئولياتهم عند ما يسحب العدو جيشه ويجلو من البلاد فينقلبون ممثلين عن العدو ويحاولون إبقاء سيطرتهم التي كسبوها أثناء الغزو الأجنبي على البلاد ، وأن يجنوا ثماره.

وقد تمكن العدو بفضل التقدم في التكنولوجيا من الاستيلاء الثقافي على البلاد بدون اللجوء إلى وسائل عسكرية ، ويتعدى الحدود السياسية ، ويجتاز الحواجز اللغوية ، ولا يبالي بخطر أي مجابهة ، وتساعده في تحقيق هذه الأهداف المحطات القوية للإذاعة في اللغات المحلية لتلك الدول التي يستهدفها ، وإذاعة تعليقات خاصة وتقارير إذاعية موجهة يجري إعدادها بدقة ورعاية للمصالح الخاصة بطريق يؤثر على أذهان المستمعين في تلك الدول المنكوبة ، وقد مهدت الأقمار الصناعية السبيل إلى النفوذ إلى المستمعين في المناطق النائية فتصل برامج العدو الموجهة وتتسرب ثقافته إلى غرف النوم ، وصالات الطعام ، وغرف الاستقبال وتستولى على أذهان السذج المعصومين من الأطفال والصبيان ، وعامة الناس الذين يتمتعون

بهذه البرامج المثيرة باعتبارها برامج التسلية والتربية التي تدخل متعة إلى النفوس وتساعد على تزجية الوقت ، وتحذو المحطات المحلية للإذاعة والتلفزيون حذو محطات العدو ، وتتعاون في تعميم تلك البرامج ، وتقلدها في برامجها ، وبذلك يتدهور الوضع الإعلامي للبلاد ، ويعاني من الإفلاس المعنوي.

**قمع الخبراء**

وبالإضافة إلى هذه البرامج ، تسعى بلاد العدو إلى كسب صداقة وتأييد الطبقة التي تسمى بالخبراء ، و الأخصائيين والمستشرقين والدبلوماسيين ليساهموا في هذا المجال ، لكي يحمل رأيه وزناً علمياً ، ولا يقدر من ضحايا هذه الحملة الإعلامية على مواجهة ومقاومة عملية غسل الذهن ، ودراسة هذه الأفكار دراسة نقدية ، وليرفضوها في النهاية إلى من تعد أسماؤهم على الأنامل ، وهو قلة قليلة لا تأثير لهم ، ومعظمهم لا يحملون وزناً أو صوتاً يسمع ، ويبذل العملاء كل ما في وسعهم من جهد وتيقظ في سبيل إقصاء أي شخص يخشى أنه يقف عقبة في هذا المجال ، فيجري إبعادُه أو عزله عن مجالات النفوذ والسلطة ( ).

إن هناك أسباب إخفاق السيادة السياسية الشكلية التي أحرزتها الدول الإسلامية في آسيا وإفريقيا في إحداث أي تغير وتحول في المجال الثقافي ، وعلى العكس يشاهد أن عملية التغريب قد نالت

---

1- Cultural Imperialism Mohammad Masihuzzaman Muslin News International Karachi may 1975,P.P.9-12

قوة وسعة في هذه الدول بعد الاستقلال وذلك لأن نظام التعليم الذي فرضه العدو خلال عهد الاستعمار لا يزال نافذاً وسارياً في سائر هذه الدول في الوقت الحاضر.

**تسخير العقول والنفوس بنظام التعليم**

يتميز النظام التعليمي المتبع في آسيا وإفريقيا بأن تكوينه كان بنية إعداد متغربين وتسخير العقلاء ، ومهما تعلم هذه لجامعات والمدارس من علوم وثقافات ، فإنها لا تمت إلى الثقافات المحلية والتقليدية بصلة ، وإنها تدرس العلوم الحديثة والتكنولوجيا ، والاقتصاد ، والعلوم الاجتماعية ، والطرق الحديثة لدراسة الثقافات التقليدية المحلية ، وعندما تتناول النصوص التقليدية لثقافتها بالبحث والدراسة تتناولها بطريق يختلف عن الطريق التقليدي ، جوهرياً ، وكذلك دراسة اللغات المحلية ، فهي دراسة عصرية ، تختلف عن طبيعة تلك اللغات .

إن طريق الدراسة للغة والثقافة والعلوم يترجح إلى تفكير المستعمر ، وهي مستمدة كلياً من ثقافة وتفكير المستعمر الأوربي السابق ، وتعتمد الجامعات في الدول الحديثة كلياً على تلك الطرق المستوردة وثقافتها للتعليم ، وتخلو مناهجها وطرق الدراسة فيها مما نشأ في بلادها وتطوّر من تجارب ، وعلوم ووسائل ، كما تخلو مناهجها من تاريخ بلادها وعلومها الاجتماعية وثقافتها المحلية ( ).

---

1-Modernizationand Higher Education Edward Shil Mode raization the Dynamics of Growth Myron weiner the voice of Amerca lectures Washinton D.C.1966 1. 97

## نتيجة الغزو الفكري

كانت النتيجة الحتمية القضاء الكامل على تراثنا التاريخي ومحو شخصيتنا الإسلامية وهكذا يستمر انهيار مجتمعنا بسرعة فائقة .

ويواجه مجتمعنا تمزقاً وتوزعاً نتيجة لانقطاع صلته عن تراثه التاريخي المجيد وطمس معالم طريقه ، ويتولد منه جيل ليس له تاريخ ولا أصالة ، يعاني من الارتياب والغربة والانعزال ، وقد ظهرت نتائج خضوعنا الفكري لنير العبودية خلال عهد انجلاء الاستعمار في كل مكان، ويمكن أن يلاحظ ذلك بوضوح في إندونيسيا على سبيل المثال ، وهي أكبر دولة باعتبار عدد السكان من المسلمين في العالم.

## إندونيسيا

من المفارقات أن إندونيسيا تعرضت لتأثير الغرب الحديث بعد الاستقلال أكثر مما تعرضت له في عهد الحكم الهولندي المباشر، فتكتب اللغة الإندونيسية بالخط الروماني بدلاً من الخط العربي المحلي، وقد فرضت لغة جديدة لخط جديد ، وصارت لمعظم الإندونيسيين لغتهم الإندونيسية بالخط الروماني لغة أجنبية ، لا يقرؤون ولا يكتبون بها رغم توجه عدد أكبر من الإندونيسيين إلى المدارس للتعليم الثانوي والجامعي والدراسات في الخارج، لكن عدداً أكبر منهم يقدر على أن يقرأ في اللغات الغربية ، وخاصة اللغة الإنجليزية التي يتعلمونها بسهولة أكثر مما يتعلمون به اللغة العربية ، لتسهيل أبجديتها ، وقد سهلت الإذاعات الإنجليزية وبرامج التسلية والمتعة وسيل الصحف الإنجليزية الذي يكتسح البلاد انتشار الثقافة الغربية والتفاهم مع أصحابها وتذوق آدابها في المدن، أما اللغة

الإندونيسية الحديثة فهي جديدة، ولا تزال في مرحلة التطوير ، والتكوين ، وفوق ذلك أنها صيغت إلى حد كبير صياغة جديدة في قالب الثقافة الغربية ، وقد خلف ذلك انعكاسات وملابسات خطيرة لها ، لأنها تمر الآن بالمرحلة النهائية للتكوين والنشأة، وقد لا تمحو محاولات التهذيب المتأخرة هذه الآثار التي تتركها عليها الثقافة الغربية .

لا تنقل المصطلحات والكلمات الإنجليزية الصحف والمجلات الثقافية والعلمية والشعبية التي تصدر في إندونيسيا وحدها ، وإنما تعدى تأثيرها ورواجها حتى في الصحف والمجلات الإسلامية الدينية التي تكافح بجدّ أو تقاوم حملة التغريب الثقافي والخلقي ، فإن الصحف الإسلامية تقدر على تقديم بديل أيديولوجي للإندونيسيين وأن تكافح للاحتفاظ بحرية العقيدة ،ولكنها لا تستطيع ولا تقدر على مكافحة الاتجاه اللغوي فمما يستغربه المتصفح للصحف الإسلامية الإندونيسية وهو يكاد يكون ظاهرة عامة في ركن الأطفال، مقالات في شرح المشاكل الدينية الأساسية ، متضمنة لألفاظ وتعبيرات إنجليزية ، وأحياناً لجمل كاملة بالإنجليزية تترك بدون ترجمة ، حيث يمكن استعمال مصطلحات عربية أو إندونيسية وتكون أكثر مفهومة من الإنجليزية.

لم يكن تأثير اللغة الإنجليزية هامشياً فيما يتعلق بالمشاكل الدينية والعقائدية التي قد يعتبرها الإسلاميون الإندونيسيون المشاكل الحقيقية للبلاد ، فإن عدداً متزايداً من الشباب المسلم في إندونيسيا يدرك بأن التغريب اللغوي يقصر ويعزل الوعي الإسلامي ، لأنه يجعل المسلمين في إندونيسيا منعزلين لغوياً عن الدول الإسلامية الأخرى، ويتعسر

عليهم دراسة اللغات الإسلامية ، وبالتالي يبتعدون عن المصدر العربي للعقيدة الإسلامية ، وتتعذر عليهم الدراسة المباشرة للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والتعمق فيها .

وبذلك فإن غزو اللغة الإنجليزية يهدد بتغير الطبيعة والقالب الثقافي للغة الإندونيسية نفسها ، لكي يتحول النضال العقائدي والثقافي إلى اتجاه ملائم لأغراض ونوايا المستعمرين في الغرب وغير ملائم لمتطلبات الإسلام ومقتضياته ، وقد كان إلغاء الخط العربي بمثابة إزالة شارة لامعة للشخصية الإسلامية وهويتها ، وعضوية إندونيسيا في جالية الأمم المتحدة ، وسد طرقها إلى دراسة القرآن والحديث ، فكانت حملة تغيير اللغة عملية استعمارية في غاية من الخطورة ، تمت بعد الاستقلال ، وقد عزم الشباب المسلم على مقاومة هذا الاتجاه بالاحتفاظ على المكونات العربية والملازية المحلية للغة الإندونيسية ( ).

**نتيجة غسل الدماغ**

أدت عملية غسل الدماغ المنتظمة خلال الحكم الاستعماري إلى عدم تقدير الحكام السابقين في أذهان الطبقة المثقفة ، وتجاهلهم وإغفالهم لعمليات إبادة الجنس البشري والاستغلال ، والوحشية ، والغزو الثقافي والقضاء على القيم الروحية وفظائع كثيرة أخرى ، ارتكبها المستعمرون ضد الشعوب المستعمرة وبلادها ، بالعكس فإن

1- Islam and Language chang in Indonesia Dennis walken yaqeen international Karachi august22,1972 P.90.

الطبقة المثقفة تقبل على التفسير الاستعماري للوضع ، وترحب بمعطيات الاستعمار وثماره بقوة وحماس ، وتنسجم معها فكرياً وعملياً.

لقد تغيرت - نتيجة لهذا الموقف - نظرة المثقفين إلى الاستعمار البغيض ، فبدلاً من أن ينظروا إليها كعبء الرجل الأبيض ، وبعثة أوربا للتحضير ، إلى آسيا المظلمة ، ينظرون إلى الحكم الاستعماري ويبررونه باعتباره شعاراً ووسيلة "للتقدم" والرقي ، والعصرية ، وبهذا الطريق تمتد جذور الاستعمار ، وتنمو اليوم.

قدم الرئيس ترومان إثر الحرب الكونية الثانية ، برنامجه المكون من أربع نقاط في عام ١٩٤٩م ، ومنذ ذلك الوقت نالت فكرة التطوير ، والتحضير ، أو بعبارة أصح تكوين مجتمعات آسيا وإفريقيا وصهرها في بوتقة الفكر الغربي ، وحضارته ، اهتماماً كبيراً ، وبذلت جهود مركزة لتحقيقها ، واعتبرت هذه الفكرة بأنها الطريق الوحيد لخلاص ما يسمى "بالعالم الثالث".

أذاع متحدث رسمي من صوت أمريكا ، في إذاعة موجهة إلى الدول الإسلامية في واشنطن قائلاً :

"ينظر إلى الاستعمار الأوربي بدون أي مبرر له ، كمجرد مصدر للاضطهاد السياسي ، ولكن الواقع الذي لا ينكر ، عكس ذلك ، إنه كان عاملاً كبيراً في نقل ثمار الحضارة الحديثة والتقدم إلى آسيا المتخلفة ، بمقابل لا يعد ثميناً بالنسبة إلى المكاسب ، لقد كان من نتيجة الاستعمار أن مكاسب ومنجزات الدول المتقدمة وضعت تحت تصرف وانتفاع الدول النامية في آسيا وإفريقيا في أحسن حالتها المتطورة ، ما أدى إلى تخفيف أعباء الدول المتخلفة التي كانت هذه التجارب لتكلفها ، وقد

أدت المجتمعات الحديثة خدمة معلم ومدرب للدول غير الغربية ، بنقلها إليها تجاربها ومنافع الاكتشافات الحديثة وحلها لمشاكلها العويصة ، وبهذا السبيل يمكن أن يعترف بدور الاستعمار ويقدر كقوة مطورة ، لقد نقل حاملو الحضارة الحديثة التي كان يمثلها المبشرون المسيحيون ، والغزاة ، نقلوا الأفكار الحديثة وأقاموا المؤسسات العصرية ، في أقاصي الأراضي وأدانيها ، وقد سيطرت المجتمعات الغربية في العهد الذي بلغت فيه ذروة المجد (١٩٢٠= ١٩٠٠م) على ما لا يقل من نصف بليار من غير الأوربيين وبسطت عليهم نفوذها ، وكان من جراء هذه السيطرة أن برزت ظاهرة القومية الحديثة في آسيا وإفريقيا ، ووجدت طبقة محلية من المتجددين الذين احتضنوا الثقافة الأوربية وحاربوا الحكم الأوربي في وقت واحد .

**القومية الراديكالية**

أدى مركب النقص الذي أحدثه الخضوع للاستعمار الأجنبي إلى وجود عدد كبير من الخونة الذين مدّوا يد المعونة إلى الأعداء علناً ولقنوا التعاون معهم والسير في ركابهم ، واتخاذ ثقافتهم وتبنى النظرة المادية في الحياة لخدمة المصلحة والانتهازية ، وكان في طليعة هذه الطبقة السيد أحمد خان في الهند والمفتي محمد عبده في مصر ، ورضا شاه بهلوي في إيران وضياء كوكب ألب ومصطفى كمال أتاتورك في تركيا.

يجب أن يعرف المسلمون بعض حقائق القومية الراديكالية التي نشأت في تركيا ، ومصر ، وإيران ، والجزائر ، وتونس ، وليبيا ، وإندونيسيا ، ودول إسلامية أخرى ، لقد كان مؤسس هذه القومية في العالم الإسلامي كمال أتاتورك الذي كان قد استخدمه الماسونيون في

باريس كتفكيك الخلافة العثمانية في اسطنبول التي حكمت على تركيا، وجنوب شرقي أوربا ، والأراضي الغربية الواسعة، كانت الخلافة العثمانية أكبر إمبراطورية في العالم ولم يكن من اليسير للاستعماريين أن يفرقوها ، فإن سياسة العدوان أو الغزو العسكري من جهة أوربا ، كان من شأنها أن تثير وحدة إسلامية جامعة ، فكان البريطانيون وحلفاؤهم مذعورين من مثل هذه الوحدة الناتجة عن الغزو العسكري ، ولم تكن هذه الوحدة لتقتصر على الدول الإسلامية وحدها ، وإنما كان يخشى أن تنضم الهند، وإيران ، وماليزيا ، وإندونيسيا ودول في إفريقيا إلى الكفاح لإنقاذ الخلافة العثمانية ، فلم يكن ثمة بديل أمام المستعمرين سوى تحطيم القوة الإسلامية.

**تحطيم القوة الإسلامية**

وكان خير وسيلة لتحقيق هذا الهدف المسلمون أنفسهم ، ففكرت الدول الأوربية في استخدام هذه الوسيلة ، واستغلت العقلاء من المسلمين الذين كانوا يدرسون في أوربا عن طريق المنظمات الماسونية السرية ، وكان أتاتورك مرشحاً مقدماً لتولى هذه الخدمة ، فعاد إلى تركيا بعد أن تم غسل دماغه ، وشكل حركة للشباب من الأتراك المنسجمين معه فكرياً للاستيلاء على الخلافة ، وفي الوقت نفسه أرسل الغرب عملاءه من بريطانيا وفرنسا ، وأمريكا إلى البلاد العربية ، لنشر فكرة القومية العربية ، وانتشرت هذه الفكرة ونالت تأييداً شعبياً ، نتيجة لسياسة الاستبداد التي سلكها بعض الحكام العثمانيين .

وآتت هذه الخطط ثمارها المرجوة ، فانهارت الخلافة ،

واستولى كمال أتاتورك على الحكم واستهدف كمال أتاتورك أول ما استهدف ، الشعائر الإسلامية ، فحرم المظاهر الإسلامية وفرض الحظر على العمامة والطربوش ، وندد بالملتحين ، وحرم الحجاب ، وغيّر الخط وانتقل إلى اللاتينية ، وأقفل سائر المدارس الدينية ، وأحل محل الشريعة القانون المدني الأوربي ، ونقل الأذان إلى التركية ، واستسلم معظم العلماء نتيجة للاستبداد وأعمال القمع والإجبار لهذه الإجراءات ، وقبلوها إلا السيد بديع الزمان سعيد نورسي الذي قاوم هذه السياسة وصمد في وجهها ، وقضى معظم حياته في السجن لمعارضته المستمرة للسياسة المعادية للإسلام التي كان يسلكها الحكام ، وكان أعضاء حركته الإسلامية يهربون توجيهاته وكتاباته من سجنه وينقلوها إلى مآت ألوف من الأتراك ، وهكذا كانت رسالته تنتشر في أوساط الناس ، وبقى الإسلام في تركيا رغم العواصف العنيفة( ) .

**إيران**

كان الوضع في إيران قبل أن عرف العالم الثورة الإسلامية في أوائل عام ١٩٧٩م ضد شاه إيران مخيباً مثل الوضع السائد في أنحاء أخرى في العالم العربي اليوم ، فقد كان الشاه بحكمه الاستبدادي قد قضى على شخصية إيران الإسلامية ، وكانت حكومة الشاه أداة في أيدي وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وكانت الأسلحة الأمريكية وقوتها الحربية تحميها وتساندها ، وفي الوقت ذاته كانت

---

1- Nationalism New Religion Gulam Jilani, Radiance Views weekly . Delhi. May. 27, 1979.P.4.

الصحافة الغربية تمجد وتطور سياسة الشاه وتفخمها ، وتصور إيران في عهده أمام القراء في أمريكا وأوربا كمثال ونموذج للتقدم والتنمية ، ولكن شاء الله أن تتغير الظروف ، وحدث انقلاب لم يكن في حسبان أحد قبل سنة.

ومن كان يتوقع أن زعيماً دينياً ، خامل الذكر ، كبير السن كآية الله الخميني الذي كان يعيش في المنفى ، سيقود ثورة يؤيدها طلبة الجامعات بحماس وعزم ، ويطردون الشاه من البلاد ، وتقوم عملية تطهير العناصر المتورطة في الظلم والاستبداد والفساد الخلقي ، ويبدأ عهد إسلامي جديد ؟

**وسيلة التحرر من العبودية**

يتحتَّم علينا في سبيل تحرير أنفسنا من نيّر العبودية ، والاستعمار الأجنبي ، أن نجدد ذكريات البطولة للآباء والأجداد الذين يزخر بهم تاريخنا ، وأن نعيد إلى أذهان أجيالنا الصاعدة قصص كفاحهم لنغرس في قلوب النشء خصال الرجولة والإباء والانتماء إلى هؤلاء الأعلام والأبطال ، وخاصة أولئك الذين كافحوا الاستعمار الأوربي ، كالإمام شامل الذي صمد في وجه القوى الطاغية للاتحاد السوفيتي ، والإمام أحمد بن عرفان الشهيد والسلطان تيبو اللذين قاوما الاستعمار البريطاني في الهند ، والمسلمين المكافحين من قبيلة مورو في الفلبين الذين قاموا بنضال استمر قروناً ضد الاستعمار الأمريكي والأسباني ، وزعماء الحركة السنوسية ضد الاستعمار الإيطالي في ليبيا ، والزعيم عبد القادر

(١٨٨٣- ١٨٠٨م) في الجزائر، والزعيم عبد الكريم (م١٩٦٣م) زعيم البربر لقبائل جبال الريف في مراكش ، في نضاله ضد الاستعمار الفرنسي.

يواجه إخواننا المسلمون في سائر أنحاء العالم نوعاً جديداً من الدين ، وهو القومية ، فيركز الأعداء جهودهم على إحداث وتنمية حب الوطن ، وعبادة الوطن وتقديس زعمائه ، فصارت بجراء هذا الاتجاه ، الأعياد القومية ، كعيد الثورة ، وعيد الجمهورية ، والعيد الوطني ، مناسبات ذات أهمية تزيد على أهمية الأعياد الإسلامية ، ويرغم الشباب في هذه المناسبات على تحية العلم الوطني ، والركوع أمامه وتلاوة النشيد القومي ، وحلت هذه المراسيم محل الواجبات الدينية ونال الشعار الوطني قدسية بحيث إنه لا يوضع على الأعلام القومية فحسب بل ينصب على المباني الرسمية ، حتى المساجد التي تبنيها الحكومة ، لكي يخنع أمامه المسلمون ويطأطئوا رؤوسهم طوعاً وكرهاً ، وقد اتخذت الدول الإسلامية قوانين كقوانين الجنسية والجوازات والتأشيرات ، وتنظيم النقل من بلاد إلى بلاد ، وعبور الحدود القومية ، وفرض رسوم جمركية عالية ، وقيود المرور ، والتجارة ، والاقتصاد ، وأصبحت مسئوليات لا تستغني عنها أي دولة قومية حديثة ، وهي ذات طبيعة أجنبية غريبة بالنسبة للفكر الإسلامي ، ولا يتصور أحد النظر في هذه القوانين ، أو تعديلها ، على العكس تعتبر مخالفتها أو التقصير في احترامها جريمة يستحق من

يرتكبها معاقبة شديدة وتعذيباً بدون محاكمة مكشوفة. (١).

إن تفوق الغرب في الطاقة والتنظيم ، والتكنولوجيا كان بقدر كبير مسئولاً عن سيطرة الغرب على سائر أنحاء العالم ، ولم يخضع المسلمون بجانب الشعوب غير الأوربية الأخرى في الأماكن الأخرى في العالم سواءً كانوا متخلفين أو متحضرين ، بسيطرة الغرب أنهم كانوا يعانون من الجمود ، أو الانحطاط ، وإنما خضعوا لها لأن المادية الغربية كانت داءاً معضلاً يقضي على صحة الشعوب ، فإنه دمر الأرض كما يأكل السرطان جسم الإنسان إذا انتشر فيه ، فالمادية الأوربية إذاً كالسرطان ، إذا انتشر في بقعة من الأرض أكل سائر الحضارات والثقافات ، والعقائ

د.

تمخضّت المادية والعلمانية في أوربا إثر النهضة الأخيرة عن العلم الحديث الذي كان أنفذ وأحدّ سلاح للغرب لغزو البلاد ، وقهر الأذهان ، وتسخير القلوب ، واستخدمت أوربا هذا السلاح على الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، ثم أبطلت بها سائر الأديان والمعتقدات بوصفها خرافات وأوهاماً ، فصارت المادية ديناً جديداً ، ينسخ سائر الأديان السابقة ، ونالت نظريات هذا الدين الجديد قدسية بحيث إنها تقبل بدون نقد ، وإعمال رأي ، ومعالجة فكر ورد وقدح ، كما كانت العقائد الدينية القديمة تقبل في الماضي ، وتمكنت المادية منذ

---

1- The Evolution of Islamic constitutional theory and prac tice (from 610 A.D. to 1926) Kamal Farouqi national pub lishing house ltd. Karachi 1971.214-215

أن فسدت الكنيسة الرومانية نفسها فساداً كاملاً شاملاً ، ونتيجة لفساد الكنيسة الرومانية أتت إلى حيز الوجود حركة بروتستنت الإصلاحية والدولة العلمانية القومية التي حطمت صلب الدولة المسيحية ، ثم ألحقت الثورة الفرنسية بالكنيسة الرومانية ضربة قاضية وتمخضت الفلسفات المادية الخالصة التي دفعت إلى الثورة الفرنسية ، عن ثورة صناعية ، ومن الثورة الصناعية نبعت الشيوعية.

يقوم العلم الحديث والتكنولوجيا على أساس المادية الخالصة وتغيرت نظرة الإنسان إلى الطبيعة بجراء العلم الحديث ، فلا ينظر الإنسان إليها في ضوء العلم الحديث إلا نظرة استغلال وانتفاع بدون تحفظ وبدون قيد ، ثم تعدى استغلال الطبيعة والانتفاع بمواهبها وودائعها عن طريق العلم والتكنولوجيا إلى حد تدمير البيئة الطبيعية التي تستمد منها حياتنا وتعتمد عليها معيشتنا ، فنشأت أخطار جديدة كالتلوث وتدفق السكان ، والكثافة في البيئة وتدنسها ، وبتدمير الفضاء الطبيعي نتيجة التكنولوجيا الحديثة التي تسعى إلى مكاسب عاجلة قصيرة الأمد لا تنتفع بها إلا الدول الغنية في الغرب ، يتجه العالم إلى تدمير الجنس البشري إذا بقيت الحياة على صفحة الحياة ، لقد كان تلوث الأرض ، نتيجة حتمية لتلوث الروح الذي كان نتيجة عاجلة للتصور المادي الملحد ، ولدراسة العلم بدون الرجوع إلى الخالق ، فيجري استنفاد المصادر واستنزافها على الأرض ، لأن العلماء لا يشعرون بواجبهم ومسئولياتهم التي تعود إليهم و يهملون عواقب نشاطاتهم .

وفي وجه هذا الخطر الجسيم يتحتم على علمائنا من أجل التحرر الكامل من نير الاستعمار الأجنبي ، أن يقوموا بدراسة ناقدة شاملة ، مقنعة للتصور العلمي التقليدي الذي يسود العالم منذ ثلاثة قرون ، ويتوجب علنيا في هذا المضمار أن نمسك عن النظر إلى بلادنا وشعوبنا في مرآة التقدم ، والقياس بمقياسه، والواجب الأول في تحرير أنفسنا أن نحرر العلم من فلسفة المادية ، ونقاوم تأثيرها غير الإنساني، ونوجد تصوراً موحداً للعلم في سبيل إيجاد علم إسلامي جديد بجهود أنفسنا وتفكيرنا الخالص.

وفي النهاية يجب أن نتخلى عن التصور الخاطئ للتقدم المادي والرفاهية المادية كهدف للحياة الإنسانية، ولا نخدع أنفسنا بالشعارات الزائفة، بأن الفقر والمرض والمعاناة، و الموت، أمور يمكن القضاء عليها أو مكافحتها، فإن ذلك تفكير غير مجد وغير مثمر، بل من العبث أن نحوم حولها، وإنما الحل الواقعي والطريق الحق أن نعالج مثل هذه المعاناة، حيث وجدناها بقدر إمكاننا، وبقدر وجودها وحجمها.

إن المجتمعات التي حاولت سد متطلباتها الخارجية كلّياً، لم تنجح إلا في إيجاد فقر روحي داخلي يحل محل الثراء الخارجي لها ، فتعاني المجتمعات الغنية نتيجة لذلك من الفقر الروحي معاناة سافرة لا تساويها معاناة.

هذه المرحلة المفزعة للتطور كانت مسئولة عن تحويل أمريكا إلى عبودية الآلات والماكينات، لقد سيطرت أمريكا بدون منازع لها

على سائر أنحاء العالم بتفوقها في الصناعة ويلاحظ وجودها في كل مكان ، ويدها في كل حركة في العالم ، ولا يوجد بلد إسلامي وغير إسلامي حراً عن نوع من سيطرة أمريكا ونفوذها ، ولكن أمريكا التي تستعبد العالم كله بطريق حياتها ، تستعبدها الآلات والماكينات فهي عبيد الماكينات ، وهي عبيد نمط خاص للحياة ، للتقدم المادي ، تأسرها المصانع والمختبرات ، والكماليات ، والأجهزة ، وقد ذابت شخصية الإنسان في بوتقة الحياة الآلية والتكنولوجية بحيث إن أفكاره وعواطفه ومشاعره قد صهرت فيها وصارت ميكانيكية فلا يحمل في صدره قلباً إنسانياً وإنما يحمل صفات الصخر والفولاذ فأصبح ضيق الفكر ، ومغرضاً شحيحاً بارداً لا تثور فيه العاطفة ولا تتحرك فيه المشاعر ، وفقد قلبه الحرارة وعيونه الندى ، وهذه هي الحقيقة التي لمستها أثناء إقامتي في أمريكا ([1]).

وإن الخروج من حالة الانعزال خطوة هامة في سبيل إعادة مجد الإسلام وتعميم تعاليمه وعرض فكره فقد اقتصرت صلاتنا وعبادتنا على المساجد ، وأماكن مخصصة للعبادة ، فلننقل صلاتنا إلى الأماكن العامة نؤديها في الحدائق ، وفي الحي الجامعي ، وعلى الشوارع ، وفي حالة الخطر وفي أماكن محذورة ، ونبعد عن أنفسنا الانكماش والانزواء.

وللوصول إلى هذه الغاية ، يجب أن نعد أنفسنا ، وندرب

---

1- From the Depth of the Heart in America by Syed Abul Hasan Ali Nadwi Academy of Islamic research and publication Lko. 1978, p15

العاملين من جهتين .

١ـ التربية الذهنية والتوعية الإسلامية وغرس الإيمان وترسيخه في القلوب ، والتربية على الإحسان ، وابتغاء رضاء الله ويتحقق ذلك بالطرق الآتية :

وذلك عن الإكثار من تلاوة القرآن الكريم وتذوقه ودراسته ودراسة السنة ، وتشرب معانيهما ، فيكونان نبراساً ومشكاة في طريق الدعوة والعمل الإسلامي ، وأسوة في الحياة .

٢ـ الإكثار من ذكر الله ، والتسبيح له ، والاهتمام بصلاة التهجد ، وإن الذكر الدائم واستحضار عظمة الله ، شرط لازم للنصر في العمل الإسلامي.

# فهرس الموضوعات

## الفصل الخامس

### الصحوة الإسلامية

### وسائل التحرر من الغزو الفكري والثقافي الغربي